

روائع الأدب العالمي للناسئين

# الأرض الطيبة

## بييرل بك





# الأرض الطيبة

تأليف: بيرل بلو

تبيط: آلان رونالدسون

ترجمة: صبرى الفضل

مراجعة: مختار السويدي



الهيئة العامة للكتاب

١٩٩٦



روائع الأدب العالمي للناشئين

إلى :

إبنى الحبيب أحمد

مع تمنياتي الحسية

والدك

صديقك الفقل

١٦ / ١٤ / ١٠

الأرض الطيبة

**المشرف على التحرير : مختار السويفى**

---

**الاخراج الفنى : انعام صالح**

## المؤلفة

ولدت بيرل بك في الولايات المتحدة الامريكية .  
اخداها والداها وهي طفلة صغيرة الى الصين حيث  
يعملان في التبشير للديانة المسيحية .

وعاشوا في شانكيانج على نهر ناجتسى كيانج ،  
وذهبت بعدها الى مدرسة داخلية في شنجهاى . كانت  
بيرل بك تشعر بأنها صينية ، لكنها فى سن السابعة  
عشرة ذهبت الى اوربا ، ثم اكملت تعليمها فى كلية  
بأمريكا .

وفى عام ١٩١٧ تزوجت من الدكتور لوسينج بك ،  
فذهبت معه الى شمال الصين حيث يعمل لمدة خمس  
سنوات ثم الى نانكينج حيث قامت بتدريس الأدب  
الانجليزى فى جامعات مختلفة .

وفى عام ١٩٢٨ ظهر أول كتاب لها « رياح الشرق ،  
ورياح الغرب » ، ثم « الأرض الطيبة » ، فى عام ١٩٣١ ،  
الذى كان نجاحه منقطع النظير ، اذ ترجم فوراً الى عشرين  
لغة ، وأخرج فيلما ، بجانب حصوله على جائزة بولتزر ،  
التي تمنح كل عام لأفضل كتاب .

تزوجت بيرل بك ثانية فى عام ١٩٣٥ من ريتشارد  
ج والشى ، رئيس تحرير صحيفة « آسيا » وكان  
لديها ابنتان كما تبنت أربعة أطفال آخرين .

وبجانب تأليفها لكتب عديدة ، وقيامها بالترجمة  
من اللغة الصينية ، فقد عملت بيرل بك من أجل تفهم  
الغرب للشعب الصينى بشكل أفضل ، الشعب الذى  
عرفته جيداً ، فأكسبها هذا العمل جائزة نوبل للسلام  
فى عام ١٩٣٨ ، وبقي ذلك الهدف من أعظم اهتماماتها .



وبرغم حدوث كثير من التغيرات العظيمة فى الصين منذ صدور « الأرض الطيبة » فلم يقلل الزمن من عنصر التشويق فى هذه القصة ، التى لا تزال تعتبر من أعظم القصص الانسانية . وهى تبين لنا نمطا من الحياة مختلفا تماما عن حياتنا ، وفى نفس الوقت مشابه تماما لها .



## مقدمة

منذ عشرين سنة ، وفى صباح يوم غائم من شهر  
فبراير بمدينة فانكنج ، التى كانت فى ذلك الوقت  
عاصمة لحكومة جديدة فى الصين ، صعدت الى حجرتى  
الصغيرة ، وبدأت كتابة هذه القصة .

وكان من الطبيعى أن تنطلق افكارى الأولى نحو  
شعب هذا البلد ، وقلبت فى ذاكرتى فبرز هؤلاء الناس  
فى بساطتهم وطبيعتهم الطيبة ، فرأيت « وانج لانج »  
و « أو - لان » وأطفالهما ؛ وبיתهما الريفى ، وصرعهم  
من أجل الحياة والاستمتاع بها . وكانوا صامتين برغم

أنهم يشكلون وأمثالهم أربعة أخماس الشعب الصيني كله . وهم يمثلون القوة العظمى لا للصين وحدها ، بل للعالم أجمع .

ولمعرفتى بهؤلاء الناس الطيبين ، وفى عقلى وفى قلبى أحاسيس قلوبهم التى تعلمتها خلال سنوات عمرى منذ بداية طفولتى ، بدأت اكتب فى ذلك اليوم من شهر فبراير دون أن توجد قصة أو خطة مسبقة ، فقط كان هؤلاء الرجال والنساء وأطفالهم يقفون امامى ، وبدأت اكتب عنهم . فهذا الزوج وزوجته مع أطفالهما كانوا من ضمن مئات الملايين الذين يشبهونهم ، ويعيشون تقريبا نفس معيشتهم ، وذلك منذ آلاف طويلة من السنين .

وفى خلال السنوات العشرين الماضية وقعت أحداث كثيرة . . وفى يوم من الايام أخذت الكتاب ثانية وقلبت فيه لأرى ان كان قد انتهى عمره . وتوهمت بأنه لا داعى لطباعة كتاب مضى عصره . . فاذا كانت الصين القديمة قد ولت ، واذا كان لم يعد هناك أناس امثال « وانج لانج » و « أو - لان » ، واذا كانوا قد

أصبحوا ملكا للتاريخ الآن ، فلندعهم اذن مدفونين  
هناك .

ولكن ، يمكن ، بالطبع ، القول بأن الشعب  
الصيني هو كما كان دائما . فلقد أدرك هذا الشعب  
الحياة قبلنا ، وقبل أن يولد جنسنا . ووجدت نفسى  
راغبة فى أن أدع قصتى باقية كما كتبتها ، فمازل  
« وانج لانج » وزوجته ، وأطفالهما يعيشون ، وآخرون  
يشبهونهم يولدون كل يوم على أرض الصين .

**بيرل بك**

**بركاسى ، بنسلفانيا**

**يونيو ١٩٤٩**



## الفصل الأول

انه يوم زفاف وانج لانج . لم يستطع في البداية ،  
بعدهما فتح عينيه في عتمة الستائر المحيطة بفراشه ، أن  
يعرف لماذا يبدو ذلك اليوم مختلفا عن غيره من الأيام .  
فالمنزل ساكن فيما عدا السعلة الضعيفة لأبيه العجوز ،  
التي تقع حجرتة أمامه ، عبر الحجرة الوسطى . وكل  
صباح كانت سعلة الرجل العجوز هي أول صوت  
يسمعه . وعادة ما يستمع اليها وانج لانج ولا يتحرك ،  
الا حين يسمعها تقترب ، عندما يفتح أبوه باب الحجرة .

ولكنه لم ينتظر هذا الصباح ، وقفز وأزاح

الستائر عن فراشه ، فظهرت السماء حمراء داكنة من خلال الفتحة الصغيرة المربعة الموجودة في النافذة ، حيث يلعب الريح بورقة ممزقة . فذهب الى الفتحة ونزع الورقة وألقاها بعيدا ، وقال لنفسه :

- انه الربيع ، وهذا ما لا احتاجه !

كان خجلا أن يجهر برغبته في أن يبدو المنزل مرتبا في هذا اليوم . لم تكن الفتحة كبيرة بما فيه الكفاية ، لكنه دفع بيده الى خارج الفتحة ليشعر بالهواء . أحس بريح رقيقة تهب من الشرق بشكل لطيف . ريح مليئة بالمطر . انه لقال طيب ، وقد لا تمطر السماء هذا اليوم ، ولكن اذا استمرت هذه الريح ، فستمطر خلال أيام قليلة . وهذا شيء جديد . لقد قال لأبيه بالأمس ، بأنه اذا استمرت أشعة الشمس الحارة ، فلن يتفصح القمح أثناء نموه . . . والآن كما لو أن السماء قد اختارت هذا اليوم لتريد له الخير ، وستثمر الأرض ثمارها .

وأسرع خارجا الى الحجرة الوسطى ، وهو يقوم بارتداء ثيابه الزرقاء ، ويعقد حول وسطه حزامه



المصنوع من القماش القطنى الأزرق • وترك الجزء العلوى من جسده عاريا الى أن يسخن بعض الماء ليغتسل ، وذهب الى المبنى المتكىء على المنزل ، انه المطبخ ، وفى ظلامه أحنى الثور برأسه من خلف الجهة المقابلة للباب ، وأصدر صوت تحية خفيض • كان المطبخ مصنوعا من قوالب الطين ، كما أن المنزل عبارة عن قطع مربعة من الأرض محفورة من حقولهم ، ومسقوفة بقش قمحهم • ولقد قام جده فى شبابه ببناء الفرن من طين أرضهم ، وهو الفرن الذى أصبح الآن أسود فاحما بسبب السنوات العديدة فى تحضير الطعام • ويعلو هذا الموقد الطينى وعاء عميق مستدير مصنوع من حديد •

ملا وانج لانج جزءا من هذا الوعاء بالماء الذى أتى به فى اناء خزفى موجود بالقرب منه • وأحضره بحرص لان الماء ثمين ، ثم رفع الاناء بشكل فجائى ، وأفرغ الماء كله فى الوعاء • واليوم سيتحجم ويغسل كل جسده ! ومنذ أن كان طفلا صغيرا على ركبة أمه لم ير أحد جسده كله • واليوم سيتعري أمام غيره ، ولذلك يريد أن يكون جسده نظيفا •

ودار حول مكان الطبخ ، وانتقى بعضا من العشب  
وأوراق الشجر الجافة الموجودة فى ركن المطبخ ، ورتبها  
بشكل مرهف فى قم الفرن ، مستفيدا بكل ورقة منها .  
ثم أشعل لهبا من حجر صوان قديم بضربه فى قطعة من  
الحديد ، وألقى به فى القش ، فكانت نارا . انه آخر  
صباح سيشعل فيه النار . لقد أوقدها كل صباح منذ  
وفاة أمه ، من ست سنوات .

لقد أوقد النار وسخن الماء وسكبه فى قدر وأخذه  
الى الحجرة التى يجلس فيها أبوه على فراشه يعمل  
ويتحسس الأرض باحثا عن حذائه . وكان الرجل العجوز  
طيلة هذه السنوات الست ينتظر ابنه كل صباح ليحضر  
له الماء الساخن لتخفيف سعلته الصباحية . ويمكن للأب  
وللابن أن يرتاحا الآن ، فستأتى سيدة الى المنزل . .  
ولن يستيقظ وانج لانج ثانية أبدا مع شروق الشمس  
صيفا وشتاء ، ليشعل النار ، ويمكنه أن يأتیه هو أيضا  
قدر من الماء . وعندما تطرح الأرض ثمارها ، فسينعم  
بأوراق الشاي المغلية فى الماء . . وهذا ما كان يحدث  
كل بضعة سنوات .

وإذا تعبت المرأة فسيكون أولادها موجودين ،  
ليوقدوا النار . . أولاد كثيرون ستنجبهم لوانج لانج .  
وتوقف وانج لانج عند فكرة الأطفال ، وهم يركضون  
هنا وهناك فى حجراتهم الثلاث . كانت الحجرات  
الثلاث تبدو دائما أكثر مما يريدون فى منزل نصفه  
فارغ منذ وفاة أمه . وكانوا دائما ما يصدون أقاربهم  
المكتظين ، أكثر منهم - فيأتى عمه بأطفاله الكثيرين  
ويقول :

- كيف لرجلين اثنين فقط يحتلان مسكنا فسيحا  
كهذا ؟ ألا يستطيع الأب وابنه أن يناما سويا ؟ فدفع  
جسد الصغير سيخفف من سعة العجوز .  
لكن كان أبوه يرد دائما :

- اننى أحتفظ بفراشى لحفيدى ، فهو الذى  
سيدفئ عظامى فى شيخوختى . ظهر هيكل الرجل  
العجوز خارج الباب ، وهو يللم ثيابه من حوله ، ويسعل  
ويبصق ثم اخذ يقول :

- كيف لا يوجد ماء الى الآن ليدفئ رثتى ؟

**فخجل وانج لانج وقال من خلف الموقد :**

— هذا العشب مبتل ... والريح رطبة ...

واستمر الرجل العجوز فى السعال ، ولن يتوقف حتى يغل الماء .. ووضع وانج لانج بعضا من الماء فى طاسة ، ثم فتح علبة موضوعة بجوار الموقد ، وأخذ منها كمية لا بأس بها من أوراق الشاي الجافة الملتوية . ونشرها على سطح الماء فتفتحت عينا الرجل العجوز بشراة ، ولكنه بدا فى الحال يشكو قائلا :

— لماذا أنت مبذر ؟ الشاي مثل أكل الفضة .

**فاجاب وانج لانج بابتسامة مقتضبة :**

— انه اليوم المنشود .. اشرب ، وكفى مرتاحا .

أخذ العجوز الطاسة مراقبا أوراق الشاي وهى تتفكك من التوائها وتستقيم على سطح الماء ولا يقدر على تحمل شرب هذا المشروب الثمين . فقال وانج لانج :

— سيبرد !

## فقال العجوز فى فزع :

— حقا ٠٠ حقا ٠٠٠ !

وبدا يأخذ رشقات كبيرة من الشاى الساخن كطفل  
متشبث بشدى أمه ، ولكنه لم ينس منظر وانج لانج  
وهو يأخذ الماء بسرعة من الوعاء الى الحمام الخشبي  
العميق ، ورفع رأسه ونظر بصرامة لولده ،  
ثم قال فجأة :

— ها هنا ماء يكفى زرعاً ليشمر !

## فقال وانج لانج بصوت خفيض :

— اننى لم أستحم أو أغسل جسمى كله منذ رأس  
السنة .

وخجل أن يقول لأبيه بأنه يريد أن يكون جسمه  
نظيفاً عندما تراه امرأة ولأول مرة ، وأسرع خارجاً ، وهو  
يحمل حمامه الخشبي الى حجرته ، وذهب الأب الى الحجرة  
الوسطى وهو يقول :

— انه لشيء سيئ اذا عودنا المرأة على ذلك — شاى  
منثور فى ماء الصباح ، واستحمام بكل هذا الماء !

## فصاح وانج لانج :

— انه يوم واحد فقط !

## ثم اردف قائلا :

— وسألقى بالماء على الأرض عندما أنتهى ، وبذلك

لن يضيع هباء .

سكت الأب عندما سمع ذلك . وخلق وانج لانج ملابسه ، وبلل قطعة صغيرة من القماش فى الماء المغلى ، وأخذ يغسل جسمه الداكن باتقان ، على الضوء المنسكب فى شعاع مربع ، من الفتحة الصغيرة الموجودة بالحائط ، ثم ذهب الى صندوق ، وسحب منه بذلة جديدة من قماش قطنى أزرق .

قد يشعر بالبرد بعض الشيء هذا اليوم بدون حشو الملابس الشتوية ، ولكنه فجأة لم يعد يحتمل أن يضعها على جسمه النظيف ، وغطاؤها ممزق وقذر والحشوة رمادية رطبة تخرج من الثقوب . . لم يكن يريد أن تراه هذه المرأة لأول مرة والحشوة تطل ظاهرة من

ملابسه ، فقد تغسلها وترفيها فيما بعد ، ولكن ليس  
أول يوم ، وسحب فوق الملابس القطنية الزرقاء معطفا  
طويلا مصنوعا من نفس القماش ، وهو الوحيد لديه  
والذى يرتديه فى أيام الاعياد فقط . . عشرة أيام تقريبا  
فى السنة . وبأصابع سريعة فك ضفيرة شعره الطويلة  
المدلاة لحلف ظهره ، وأخذ مشطا خشبيا وبدأ يمشط  
شعره . ولفه الى أعلى بسرعة وبنعومة ، ثم لفه حول  
رأسه ، وخرج حاملا حمام الماء .

كان قد نسى الافطار ، وكان ما عليه الا أن يحرك  
قليلا من الماء فى طحين الذرة ، ويعطيه لأبيه ؛ اما  
بالنسبة له فيمكنه الا ياكل ؛ وحمل الحمام الخشبي الى  
عتبة الباب وسكب الماء على الأرض بالقرب من الباب .

كان هذا آخر صباح عليه أن يجهز الطعام فيه  
لأبيه ! ووضع قليلا جدا من الماء فى الطاسة فغلى  
بسرعة ، ثم حرك طحين الذرة فيه ، وأخذه الى الرجل  
العجوز وقال :

- سنتناول الارز الليلة يا أبى ، وحتى ذلك الحين اليك بالذرة .

فقال الرجل العجوز وهو يجلس على المائدة ويحرك الخليط الأصفر السميك :

- لا يوجد الا قليل من الارز المتبقى فى السلة .

**فقال وانج لانج :**

- سناكل أقل مما أكلناه فى عيد الربيع .

لكن العجوز لم يسمع ، حيث كان يشرب من الطاسة بصوت مرتفع .

دخل وانج لانج الى حجرته بعد ذلك ، ومرر بيده على رأسه المحلوق ، وعلى وجهه .. ربما كان من الأفضل أن يحلق ؟ فالوقت مازال مبكرا ، ويمكنه أن يمر على شارع الحلاقين قبل أن يذهب الى المنزل الذى تنتظره المرأة فيه .. أجل سيقوم بذلك اذا بقى لديه نقود .

وأخذ من حزامه كيسا صغيرا متسخا من القماش الرمادى ، وعد ما فيه من نقود ، فكان فيه ستة دولارات ،



وحفنتين من العملات النحاسية ، ولم يخبر أباه بعد بأنه  
دعا بعض أصدقائه على عشاء الليلة • ولقد خطط أن  
يحضر معه من المدينة هذا الصباح بعض اللحم ، وسمكة  
صغيرة ، وحفنة مكسرات •• وقد يشتري أيضا بعض  
الأطعمة البسيطة من الحبوب ليطبخها مع النباتات التي  
زرعها في حديقته • ولكنه سيقوم بذلك فقط اذا تبقت  
معه نقود بعد شراء الزيت والصلصة ••

واذا حلق رأسه ، فربما لن يستطيع أن يشتري  
طعاما اضافيا •

وقرر فجأة •• أن يحلق رأسه !

خرج في الصباح الباكر ، والشمس تشرق على  
القمح النامي •• وانحنى لينتفحص السنابل • كانت  
لا تزال فارغة ، منتظرة المطر •• وتشمم الهواء ، وتطلع  
بقلق الى السماء ، كان المطر قابعا هناك في السحب  
الداكنة • يشكل حملا ثقيلًا على الريح •• سيشتري  
عودا من البخور ذي رائحة حلوة ، ويضعه في المعبدة

الصغير المخصص لاله الأرض . لابد أن يفعل ذلك فى  
يوم كهذا . . !

وشق طريقه الملتوى بين الحقول على طول الممرات  
الضيقة ، وظهر جدار المدينة الرمادى من مدى ليس  
بعيد ، وخلف البوابة الكائنة فى الجدار - والتي  
سيمر منها ، يشرئب المنزل العظيم ، حيث المرأة التى  
كانت من العبيد وتعمل منذ طفولتها بمنزل هوانج .  
كان هناك من يقول :

- من الأفضل أن تعيش وحيدا عن أن تتزوج  
امراة كانت من الجوارى والعبيد الذين يعملون فى منزل  
كبير !

ولكنه عندما قال لآبيه :

- ألن يكون لدى امراة أبدا ؟

اجابه أبوه :

- مع تكلفة الزواج فى هذه الأيام الفاسدة ، وكل  
امراة تريد خواتم ذهبية ، وملابس حريرية ، قبل أن

تقترن برجل .. فلا يبقى الا العبيد اللاتي يقدر عليهن  
الفقراء .

نهض أبوه بعد ذلك ، وتوجه الى منزل هوانج ،  
وسأل اذا كانت توجد عبدة يمكن الحصول عليها .

**وقال :**

— ليست عبدة صغيرة جدا ، ولا داعي أن تكون  
عبدة جميلة .

لقد عانى وانج لانج من أنها يجب ألا تكون جميلة .  
وعندما شاهد على وجهه علامات الغضب صرخ فيه والده :

— وماذا ستفعل بزوجة جميلة ؟ اننا نحتاج لامرأة  
تعتنى بالمنزل ، وتحمل أطفالا ، وتعمل في الحقول ..  
فهل ستقوم زوجة جميلة بهذه الأمور ؟ بل ستفكر دائما  
في الملابس التي تتناسب معها ! كلا ، نحن فلاحون ..  
هل تتخيل أن زوجة جميلة ستفكر أن يديك الفلاحتين  
مبهجة كيدي ابن الرجل الثرى الناعمين ؟

كان وانج لانج يعرف أن أباه يتكلم الصواب ، ومع

ذلك أخذ يصارع نفسه قبل أن يستطيع الاجابة  
فقال بعنف :

- على الأقل لا أتزوج امرأة مصابة بالجدرى ، أو  
ذات شفة مشقوقة .

حسن ، لقد كانت المرأة غير مصابة بالجدرى ،  
ولا شفتها العليا مشقوقة .

هذا ما كان يعرفه لا أكثر ، فاشترى هو وإياه  
خاتمين ذهبيين ، وحلقا من الفضة ، وأخذهم أبوه الى  
مالك الفتاة ، ولم يعرف عن الفتاة شيئا خلاف ذلك،وهى  
التي ستكون زوجته ، وأنه يستطيع أن يذهب فى ذلك  
اليوم ويأتى بها .

وسار فى العتمة الباردة لبوابة المدينة ، ثم انصرف  
الى اليمين حيث شارع الحلاقين ، وذهب الى أبعد دكان  
وجلس على المقعد ، وأصدر اشارة للحلاق الواقف  
يتحدث مع جاره فى تراخ ، وجاء الحلاق فى الحال وبدأ  
يصب الماء الساخن فى وعائه النحاسى .

وعندما انتهى ، وعد النقود فى يد الحلاق المبتلة .  
انتابته لحظة خوف ٠٠ انها نقود كثيرة ! ولكنه قال  
لنفسه وهو يسير ثانية فى الشارع ، والريح تلسع  
فروة رأسه المحلوق :

— انها مرة واحدة فقط !

ثم ذهب الى السوق واشترى رطلين من اللحم ،  
وراقب صاحب المحل وهو يلفها فى ورقة شجر جافة ،  
ثم اشتري بعد تردد ست أوقيات من لحم مختلف ،  
وعندما تم شراء كل شئ ، ذهب الى محل واشترى منه  
عودين من البخور ، ثم أدار خطواته نحو منزل هوانج .

وعندما وصل الى بوابة المنزل انتابه الخوف ٠٠  
كيف جاء بمفرده ؟ كان يجب أن يطلب أباه ، أو عمه ،  
أو حتى جاره شينج ، أو أى أحد لياتى معه ، حيث انه  
لم يأت الى منزل كبير من قبل ٠٠ كيف استطاع أن  
يدخل ومعه وليمة عرسه على ذراعه ٠٠ وماذا يقول :

— لقد أتيت من أجل امرأة ؟!

وقف عند البوابة فترة طويلة يتطلع اليها ، حيث  
يقبع حيوانان مصنوعان من الحجر ، وكانهما حارسان  
واحد على كل جانب . وكان حارس البوابة ممتددا في  
تكاسل ، فصاح في صوت أجش :

— ماذا هناك ؟

**فأجاب وانج لانج بصعوبة بالغة :**

— أنا الفلاح . . . وانج لانج . . .

فأجاب حارس البوابة ، الذي لم يكن مؤدبا الا مع  
الأصدقاء الأثرياء للسيد والسيدة :

— حسن ، وانج لانج الفلاح ، ماذا تريد ؟!

— لقد أتيت — لقد أتيت . . .

**فقال حارس البوابة متظاهرا بالصبر :**

— هذا ما أراه .

كان صوت وانج لانج ينخفض رغما عنه  
لدرجة الهمس ، وكان وجهه متلا في اشراق  
الشمس .

وهو يقول :

- توجد امرأة •

فأصدر حارس البوابة ضحكة عالية وهو يزار :

- اذن أنت هو ؟ لقد قيل لى أن أنتظر عريسا  
اليوم لكنى لم أدرك ذلك والسلة فى ذراعك •

فقال وانج لانج منتظرا حارس البوابة أن يدخله :

- انها لحمه !

لكن حارس البوابة قال دون أن يتحرك من مكانه :

- القطعة الفضية الصغيرة هى المفتاح •• دعنى  
أرى ما فى حزامك !

وضحك عندما وضع وانج لانج فعلا ، فى  
بساطته ، السلة فوق الحجارة ، وهز فى يده اليسرى  
كل النقود التى تبقت معه بعد التسوق • وكان بها  
قطعة فضية واحدة ، وأربعة عشر بنسا نحاسيا •

فقال حارس البوابة ببرود :

- سوف آخذ العضة .

وأخذ الرجل الفضة فى كفه ، قبل أن يستطيع  
وانج لانج أن يقول أى شيء ، ثم سار بسرعة عبر  
البوابة صائحا :

- العريس .. العريس !!

وبرغم حنق وانج لانج لما قد حدث ، واندهاشه  
لصياحه عند قدومه بصوت مرتفع ، لم يستطع أن يفعل  
سوى أن يتبعه وركض من خلفه بعد أن التقط سلاته  
دون أن ينظر يمنة ولا يسرة . ولم يستطع أن يتذكر  
شيئا بعد ذلك ، برغم أنها المرة الاولى التى يدخل  
فيها الى منزل أسرة عظيمة .

وسار ووجهه متوهج ، ورأسه منحني من قاعة  
الى قاعة ، وهو يسمع هذا الصوت الذى يزار من  
أمامه ، ويسمع ضحكات من كل جانب .  
وفجأة ، بعد أن خيل له أنه عبر مائة قاعة



سكت حارس البوابة ، ودفعه داخل حجرة انتظار صغيرة . ووقف وحيدا بها ، بينما دخل الحارس الى مكان داخلي .

**وعاد بسرعة هو يقول :**

- السيدة الكبيرة تقول أن تحضر امامها .
- فتقدم وانج لانج ، لكن حارس البوابة أوقفه .

**صارخا في اشمئزاز :**

- لا يمكنك أن تظهر امام سيدة عظيمة وعلى ذراعك سلة .. سلة طعام ! كيف ستنحنى ؟

**فقال وانج لانج :**

- حقا ، حقا !

لكنه لم يجرؤ على أن يضع السلة على الأرض ،  
لأنه كان يخشى أن يسرق أحد منها شيئا ولم يكن يظن  
أن العالم كله ، قد لا يرغب في مثل هذه الأشياء ..  
رطلين من اللحم ، وست أوقيات من لحم من نوع آخر ،  
وسمكة صغيرة .

• رأى حارس البوابة خوفه •

فقال في استهزاء كبير :

- فى منزل كهذا ، نطعم مثل هذا اللحم  
للكلاب !

وأمسك بالسلة ، ووضعها خلف الباب ، ودفع  
بوانج لانج أمامه ، وذهبا عبر ممر ضيق طويل ،  
يستند سقفه على أعمدة ذات زخارف رقيقة ، ومنه  
الى قاعة لم ير مثلها ، وكاد يسقط فوق درجة مرتفعة  
للباب ، وهو يرفع رأسه فى اندهاش ليشاهد  
الدعامات الكبيرة من فوقه الموشاة بالرسوم الملونة ،  
الا أن حارس البوابة أمسكه من ذراعه •

وصرخ فيه :

- هل هذا من الأدب ، أن تسقط على وجهك  
هكذا أمام السيدة الكبيرة •

فنظر وانج لانج أمامه فى خجل جم ، فشاهد  
على منصة مرتفعة فى منتصف الحجرة سيدة عجوز

جدا . . كان جسمها الصغير الرقيق مكسوا بحريز  
رمادى لؤلؤى لامع ، وبجانبها على مقعد منخفض  
غليون أفيون .

**وقالت :**

— هل جاء من أجل الفتاة ؟

**فاجاب حارس البوابة :**

— أجل ، أيتها الشبيخة الجليلة .

**فقال وانج لانج :**

— اننى لست الا انسانا جلغا يا أيتها السيدة  
العظيمة والجليلة ، فانا لا أعرف أى الألفاظ التى  
تستعمل فى مثل هذه الحضرة .

فنظرت السيدة العجوز اليه باهتمام ، وكانت  
ستتكلم ، لولا أن يدها تمسكت بالغليون الذى كانت  
تمده لها احدى العبيد ، وبدا عليها فورا أنها نسيته ،  
وتقوسست ، ومصت الغليون بنهم لفترة ، فانحسرت  
اليقظة من عينيها ، وحلت محلها غشاوة رقيقة من

النسيان ، وظل وانج لانج واقفا أمامها حتى هم  
بالرحيل ، فلمحت شكله البشرى .

فسالت بغضب مفاجئ وكأنها نسيت كل شى

– ماذا يفعل هذا الرجل هنا ؟

ولم يقل حارس البوابة شيئا .

**وقال وانج لانج فى ذهول كبير :**

– انا فى انتظار الزوجة أيتها السيدة العظيمة

**فبدات السيدة العجوز تقول .**

– الزوجة ؟ أية زوجة ؟

لكن العبدة التى بجانبها ، انحنت وهمست لها .

فقالت :

– آه ، أجل لقد نسيت للحظة – مسألة بسيطة –

لقد أتيت للعبدة التى تدعى أو – لان . . أذكر أننا

وعدناها بالزواج بمزارع . . هو أنت المزارع ؟

**اجاب وانج لانج :**

- هو انا !

**فقالت السيدة المعجوز لعبدتها :**

- نادى او - لان بسرعة ١٠٠ !

وظهر عليها فجأة ، عدم الصبر لانها كل هذا ،  
حتى يتركوها بمفردها فى سكون الحجرة الكبيرة مع  
غليون الأفيون .

وظهرت العبدة فى التو ٠٠ شكل بشرى مربع  
طويل نوعا ما ، مغطى بقماش قطنى أزرق نظيف ،  
وأخذت تتقدم ، فنظر اليها وانج لانج مرة ، وأبعد  
نظره بسرعة ، وأخذ قلبه يدق بشكل غريب ٠٠ انها  
زوجته !

**فقالت السيدة المعجوز بلا مبالاة :**

- تعالى هنا يا عبدة ، هذا الرجل جاء من  
أهلك !

وقفت الفتاة أمام السيدة ، وقد أحنّت رأسها  
وعقدت يديها ، وسألتها السيدة العجوز :

- هل أنت مستعدة ؟

**فاجابت الفتاة :**

- مستعدة !

سمع وانج لانج صوتها لأول مرة ، فنظر إليها  
وهي واقفة أمامه .. كان الصوت طيبا بما فيه الكفاية ،  
لا مرتفع ، ولا منخفض .. صوت سوى ثابت ،  
وشعرها مرتب ، وناعم ، ورداؤها نظيف ، ورأى  
بنخبة أمل فورية أن قدميها ليستا ملفوفتين برباط  
وأخيرا .. قالت السيدة العجوز لحارس البوابة :

- احمل صندوقها الى البوابة ، ودعهما يذهبان !

**ثم نادى وانج لانج وقالت :**

- قف بجانبها أثناء كلامي !

وعندما تقدم وانج لانج ، قالت له :

- لقد جاءت هذه العبدة الى منزلنا وهى طفلة  
فى العاشرة ، وعاشت هنا حتى الآن ، حيث أصبحت  
فى العشرين من عمرها . اشتريتها فى سنة قحط عندما  
جاءت مع والديها الى الجنوب حيث كانوا لا يجدون  
ما يأكلونه من الشمال من شانتونج ، واليها عاد والداها  
ولا أعرف أى أخبار عنهما ، وكما ترى ، فجسمها قوى ،  
ووجهها مربع مماثل لما عليه أهل منطقتها ، وستعمل  
برباطة جاش فى الفلاحة وستحمل الماء ، وكل ما تريده  
منها . انها ليست جميلة ، ولكنك لست فى حاجة  
لعبدة جميلة . فالرجال الذين ليس لديهم ما يفعلونه ،  
هم الذين يحتاجون لنساء جميلات لتسليةهم . وهى  
ليست موهوبة ، لكنها تفعل كل ما تؤمر به بشكل  
جيد ، وحسنة الطباع . . خذها ، وأحسن معاملتها !

ثم قالت للفتاة :

- أطيعيه ، وانجبنى له أبناء وأبناء كثيرين ،  
وأحضرى أول طفل ليرانى .

**فقالت الفتاة بكل طاعة .**

— أجل يا سيدتى الجليلة !

ووقفا متململين .. كان وانج لانج مرتبكا ، وكان لا يعرف اذا كان عليه أن يتكلم .

**وقالت السيدة العجوز فى غضب :**

— حسن ، اذهبا .. هيا .

فانحنى وانج لانج بسرعة ، واستدار خارجا ، وجاءت الفتاة وراءه ، ومن بعدها الحارس حاملا كتفه الصندوق الذى ألقى به فى الحجرة ، التى عاد وانج لانج ، فوجد سلته ، ولم يحمل الحارس الصندوق بعد ذلك ، واختفى بدون أية كلمة أخرى .

عندئذ استدار وانج لانج للفتاة ، ونظر اليها لأول مرة .. انها ذات وجه مربع صريح ، وأنف قصير عريض ، وفم واسع ، وعينين صغيرتين ؛ ولونهما أسود باهت يعوزه البريق ، ومملوءتين بحزن ما لا تعبران عنه بوضوح ، وكان وجهها يبدو صامتا من التعود ، كما لو أنها لا تستطيع الكلام حتى لو أرادت ذلك .



تحملت نظرة وانج لانج بصبر ، وانتظرت ببساطة  
حتى يراها . فرأى أنه لم يكن يوجد أى جمال من أى  
نوع فى وجهها حقاً . . وجه أسمر عادى صبور ،  
ولكن لا توجد بثور الجدرى على جلدتها الأسمر ،  
ولا شفتها مشقوقة . ورأى فى أذنيها القرطين الذهبين  
اللذين اشتراهما لها ، وفى أصابعها الخواتم التى أعطاهم  
لها ، واستدار فى تحمس كتوم . . حسن ، ان لديه  
الآن زوجة !!

### وقال بغشونة :

— ها هنا هذا الصندوق ، وهذه السلة !  
فانحنت بدون كلمة ، والتقطت أحد طرفى  
الصندوق ، ووضعتة على كتفها ، وحاولت النهوض  
به وهى تكافح تحت ثقله ، فلاحظها .

### وقال فجأة :

— سأخذ الصندوق ، واليك بالسلة .  
وأخذ الصندوق على ظهره بغض النظر عن أفضل

رداء يرتديه ، وأخذت هي السلة في صمت . وذهبا  
عبر الساحات ، ثم الى الشارع .

ونظر اليها مرة أو مرتين ، وكانت تمشي على  
قدميها الكبيرتين بثبات ، وكأنها مشيت خلفه طوال  
حياتها ، وكان وجهها العريض بلا تعبير . . . . وهكذا  
مشيا سويًا حتى وصلا الى الحقل الغربى ، حيث  
المعبد .

كان المعبد عبارة عن مبنى صغير ، لا يرتفع عن  
هامة الانسان ، ومبنيًا من طوب رمادى . ويقبع داخل  
المعبد مثالان صغيران يحميهما سقف آمن ، كانا الاله  
نفسه ، وزوجته ، وهما مصنوعان من تراب الحقول  
المجاورة للمعبد . ويرتديان ملابس من الورق الأحمر ،  
والذهبي ، وكان على شفة الاله العليا شعر حقيقى ،  
وكان والد وانج لانج يشتري كل عام صحفا من الورق  
الأحمر ، ويقطعها بعناية ، ويلصق ملابس جديدة للاله ،  
وزوجته . وكل عام يسقط المطر ، والجليد داخل  
المعبد ، كما تشرق عليهما شمس الصيف فتتلف  
ملابسهما .



RUSSELL

وانج لانج و او - لان يقدردان منزل هوانج .

أخذ وانج لانج يبحث عن أعواد البخور التي  
اشترأها ، وعرزها في الرماد المسكوم أمام الآله ،  
وزوجته . ووقف هذا الرجل وهذه الفتاة أمام آلهة  
الحقول ، وراقبت الفتاة أطراف البخور الحمراء التي  
تتحول الى لون رمادي ، عندما ثقل الرماد انحنت عليهما .  
ودفعت بالرماد بعيدا ، ثم نظرت بسرعة الى وانج لانج ،  
وكانها خائفة مما فعلته . ولكن هناك شيئا ما أحبه  
في حركتها ، اذ كانها شعرت بأن البخور يخصهما  
هما سويا . . انها كانت لحظة زوج ، فوقفا هنا جنباً  
لجنب في سكون تام أثناء احتراق البخور الى رماد .

ثم رفع وانج لانج الصندوق ، لأن الشمس كانت  
تغوص في الأفق ، واتجهوا الى البيت .

وقف الرجل العجوز عند باب المنزل ، يقتنص  
آخر أشعة للشمس على جسمه ، وعندما رأى وانج  
لانج يأخذ السلة من الفتاة صرخ قائلاً :

— هل أنفقت نقودا ؟

وضع وانج لانج السلة على المائدة .

**وقال باقتضاب :**

- سيوجد ضيوف الليلة !

- لا توجد نهاية لانفاق النقود فى هذا المنزل !

كان فى قرارة نفسه مسرورا بأن ابنه قد دعا ضيوفا ، لكنه كان يشعر بأنه ليس من الصواب أن يتفوه بغير الشكوى أمام زوجة ابنه ، وألا يبدأ من الأول فى طريق مكلف ، ولم يقل وانج لانج شيئا ، لكنه أخذ السلة الى المطبخ ، وتبعته الفتاة الى هناك .

**فقال لها :**

- هنا لحم ، وهنا لحم أكثر ، وسمكة .. هل يمكنك تحضير الطعام ؟

**فاجابت الفتاة بصوتها الجلى :**

- لقد كنت خادمة مطبخ منذ أن ذهبت الى منزل هوانج ، وكان اللحم موجودا فى كل وجبة .

تركها وانج لانج ، ولم يرها ثانية ، حتى وصل  
الضيوف متراحمين - عمه كان مبتهجا ، ولكنه كان  
جائعا ، ومخادعا ، وابن عمه شاب صغير فى الخامسة  
عشرة ، يحب أن يلفت نظر الآخرين اليه ، ومزارعين  
مرتبكين خجولين . كان أحدهم شينج جاره ، وهو  
رجل صغير الحجم ، هادى دائما ، لا يرغب فى الكلام  
الا اذا أجبر عليه .

وأخذ يحثهم بحماس على الأكل ، وأكلوا اذ كان  
الطعام طيبا ، ومدح أحدهم الصلصة البنية التى وضعت  
على السمك ، وآخر أثنى على اللحم المطهو ببراعة ..

**وأخذ وانج لانج يقول ، ويعيد القول :**

- انه طعام فقير .. انه معد بشكل مخز !

ولكنه كان فى قرارة نفسه فخورا بالأطباق لأن  
الزوجة أعدت توليفة من السكر ، والملح ، وقليل من  
النبيد وصلصة الفول الصويا بمهارة أكسبت الطعام  
مذاقا رائعا ، ولم يتذوق وانج لانج مثل هذه الاطباق  
على موائد اصدقائه من قبل .

وفى تلك الليلة ، بعد ما جلس الضيوف، طويلا  
يتناولون أقدم الشاي ، وبعد ما انتهوا من نكاتهم ،  
أخذ أو - لان من يدها وقادها الى الحجرة التى استحم  
فيها من أجلها ذلك الصباح ، وارتبك فجأة عندما  
وجد نفسه مع الفتاة .

### قتال بغشونة :

- عندما ترقدين ، اطفئى الضوء أولا !

وبعد فترة ، عندما أظلمت الحجرة وأحس بحركة  
الفتاة بجانبه ملاء الفرع ، وأطلق ضحكة عميقة فى  
الظلام !





## الفصل الثانى

وفى الصباح التالى تمدد على الفراش ، وأخذ يراقب الفتاة التى أصبحت الآن ملكا له كلية ، وانعكس الضوء الصادر من الفتحة الصغيرة - على شكل شعاع - عليها ، فرأى وجهها كما هو ، لم يتغير . . . كان ذلك مدهشا بالنسبة الى وانج لانج ، واعتقد أن الليل يجب أن يكون قد غيره . ومع ذلك هاهى تنهض من فراشه ، وكأنها كانت تنهض من هذا الفراش طوال حياتها !

وارتفعت سعلة الرجل العجوز تشكو من الظلام وتبدأ النهار ،

فقال لها :

— خذى أولا طاسة من الماء الساخن لأبى من أجل  
رثتيه !

فسأله بصوتها الهادئ :

— هل أضع فيه أوراق الشاي ؟

لقد انزعج وانج لانج من هذا السؤال البسيط ،

وكان يجب أن يقول :

— طبعى ، يجب أن يكون فيه أوراق الشاي ..  
هل تعتقد أننا شحاذين ؟ كان يجب أن تفهم أنهم  
يعتبرون أوراق الشاي فى المنزل لا شىء ، ففى منزل  
هوانج كانت ، بالطبع ، كل طاسة ماء خضراء بأوراق  
الشاي . وحتى العبيد هناك ربما لا يشربون ماء قراحا  
فقط . لكنه كان يعرف أن أباه سيفضب إذا قدمت  
إليه الزوجة الشاي فى أول يوم بهلا من الماء ، علاوة  
على أنهم ليسوا أغنياء حقا .

## لذلك اجاب بلا مبالاة :

— شأى ؟ كلا ، كلا .. انه يجعل سلعته  
اسوأ !

ورقد عندئذ فى فراشه دافئا راضيا ، بينما  
الزوجه فى المطبخ توقد النار ، وتغلى الماء ، وأخذ  
يفكر فى الليلة ، وتساءل فجأة إذا كانت قد احبته  
.. كان هذا تساؤلا جديدا .. كان يسأل فقط اذا كان  
سيحبها ، وهل سترضيه فى فراشه ، وفى هذا المنزل  
أم لا .. وبالرغم من أن وجهها عادى ، والجلد الذى  
يكسو يديها كان خشنا ، الا أن جسدها جميل .. فهى  
طويلة ، كبيرة العظام ، مع استدارة ، ونعومة ، ورغب  
فجأة فى أن تحبه كزوجها ، وعندئذ شعر بالخجل .  
وانفتح الباب ، ودخلت بطريقتها الصامتة ،  
حاملة فى كلتا يديها طاسة يتصاعد منها بخار الماء ،  
فجلس على فراشه وتناولها .. كانت أوراق الشأى  
تطفو على سطح الماء ، فرفع بصره اليها بسرعة ،  
فانفزع فى الحال ،

## وقالت :

- لم آخذ أى شأى للرجل الكبير - لقد فعلت  
كما قلت لى - ولكن من أجلك أنت ، فأنا ..  
راى وانج لانج أنها كانت خائفة منه ، فاحس  
بالغبطة ،

## وأجابها قبل ان تنهى كلامها :

- اننى أحبه .. اننى أحبه !

وأخذ يمص الشأى فى فمه بأصوات عالية من  
النشوة ، وكان فى داخله فرح جديد ، يخجل أن يعترف  
به ، حتى لنفسه :

- ان هذه المرأة ملكى ، وتحبنى بما فى  
الكفاية !

وخيل اليه أنه لن يفعل شيئاً خلال الشهر  
التالى عدا أن يراقب امرأته هذه .

وفى الحقيقة اشتغل كما كان يشتغل دائماً .  
فكان يمشى الى حقوله ، ويحرق صفوف البذور ، ويثبت  
الثور فى المحراث ، ويحرق الحقل الغربى ، حيث  
يزرع الثوم والبصل .

ولكن العمل كان مبهجا ، لأنه يستطيع عند الظهيرة أن يذهب الى منزله ، ويجد الطعام معدا له ليأكله والمائدة تلمع ، والطاسات موضوعة بترتيب عليها ومن قبل كان عليه أن يجهز الوجبات عند عودته رغم تعبته ، الا اذا أحس الرجل العجوز بالجوع ، وقام بتحريك قليل من طحين الذرة فى الماء ، أو خبز رغيفا من الخبز ولفه حول فص ثوم .

وحاليا أى شىء موجود للأكل فهو معد له ، ويستطيع أن يجلس الى المائدة ويأكل فى الحال ، والأرضية الترابية مكنوسة ، والحطب مكوم .. وعندما يذهب فى الصباح تأخذ المرأة الجرافة الخشبية ، وقطعة حبل وتتجول بهما فى المنطقة تجمع الحشائش من هنا ومن هناك ، وفروعا وأوراق شجر ، وتعود قبل الظهر لتبدأ فى طهى الغداء .. وكان يسره ذلك ، لأنهم لا يحتاجون لشراء حطب .

وبعد الظهر تأخذ جاروفا ، وسلطة على كتفها ، وتذهب الى الطريق الرئيسى المؤدى الى المدينة ، حيث

تحمل الجياد والحمير أثقالها ، فتلتقط روث الحيوانات  
من الطريق ، وتحمله الى البيت ، وتكويه فى الفناء  
لاستخدامه فى الحقول . كانت تقوم بهذه الامور بدون  
كلمة ، وبدون أن تؤتمر لفعلها . وعندما يشرف النهار  
على نهايته ، فلا تستريح حتى تطعم الثور بالمطبخ  
وتسقيه حسب ما يحتاج من الماء .

ثم تأخذ ملابسهم الممزقة ، وتقوم برتقها بخيط  
تغزله بنفسها من نتفة قطن على عصاة وتغطى  
التمزقات الموجودة فى ملابسهم الشتوية ، وتأخذ  
فرشهم وتعرضه للشمس ، وتغسله وتعلقه ليجف ،  
وتنقب فى الحشوة القطنية التى أصبحت جامدة  
ومتسخة على مر السنين ، وتقتل الحشرات التى عاشت  
فى الثنايا المخفية ، وتجففها جميعها فى الشمس .

ويوما وراء يوم ، وهى تقوم بعمل شئ بعد شئ  
حتى بدت الحجرات الثلاث نظيفة ، ومريحة ، وتحسنت  
سعلة الرجل العجوز ، ودائما ما كان يجلس فى  
الشمس بجوار الجدار الجنوبي للمنزل وهو نصف  
نائم ، ويتمتع بالدفء والرضا .

ولكنها لم تتكلم مطلقا ، فيما عدا بعض كلمات  
لازمة لضروريات الحياة • كان وانج لانج يراقب  
حركتها المتتدة ، البطيئة حول الحجرات على قدميها  
الكبيرتين ، ويلاحظ سرا وجهها المربع غير المعبر ، ونظرة  
عينها نصف الخائفة ، ولم يستطع أن يفهمها • لقد  
خبر في الليل الرسوخ الناعم لجسدها ، ولكن في  
النهار ، كانت الملابس القطنية الزرقاء البسيطة تغطي  
كل ما خبره ، وكانت هي مثل الخادمة المخلصة  
الصامتة ، خادمة لا أكثر •

وأحيانا يبدأ في التساؤل ، وهو يعمل فوق  
التربة وفي الحقول • ماذا شاهدت في مئات الساعات  
الموجودة بمنزل هوانج ؟ وكيف كانت حياتها ، هذه  
الحياة التي لم يشاركها فيها ؟ لم يستطع أن يدرك  
ذلك ، ثم يخجل من فضوله ، واهتمامه بها •• انها على  
كل مجرد امرأة !

لكن لم تكن الحجرات الثلاث مع وجبتى النهار  
كأنه لتشغل امرأة ، كانت عبدة في منزل كبير ،

كانت تعمل فيه من شروق الشمس حتى منتصف الليل  
وفى أحد الايام عندما كان وانج لانج مشغولا بالقمح  
وحرثه يوما بعد يوم ، حتى آله ظهره ، سقط ظلها  
عبر الصف المحنى عليه ، حيث وقفت وعزقتها معها  
من فوق كتفها ،

### وقالت باقتضاب :

- ليس هناك ما يمكننى أن اعمله فى المنزل قبل  
حلول الليل .

وبدون كلام آخر ، أخذت الصف الذى على يساره  
وبدأت تعمل بثبات .

وسطعت الشمس من فوقهم . . كان الوقت أوائل  
الصيف ، فتغطى وجهها بالعرق فى الحال . كان وانج  
لانج خالعا رداءه ، وظهره عاريا ، ولكنها كانت تعمل  
ورداءها الرقيق يغطى كتفيها ، فابتل والتصق بها  
كجلد ثان . وشعر باتحاد معها ، وهو يعمل وهى  
بجانبه ساعة وراء ساعة فأزال ذلك آله .





وانج لانج و او - لان يعملان في الأرض ..

لم يكن لديه فكر واضح عن أى شىء .. كانت  
لديه متعة عميقة فقط بسبب المشاركة في العمل ، وهما  
يقلبان هذه الأرض التى تخصصهما المرة تلو الأخرى حتى  
تتعرض للشمس - هذه الأرض التى منها بيتهما ،  
ومنها يتغذى جسداهما ، ومنها تصنع آلهتهما . وتمتد  
الأرض سمراء غنية ، وتتساقط من بين أيديهما وهما  
يعملان ، وأحيانا كانا يرفعان قالب طوب ، او قطعة  
خشب صغيرة . انها لا شىء .. ففى بعض الأزمان دفنت  
أجساد رجال ، ونساء .. وهناك بيوت بنيت ..  
وأخرى سقطت .. وعادت الى الأرض ثانية .. وهكذا  
يعود بيتهما الى الأرض فى وقت ما . كانا يعملان  
سويا فى صمت .. وسويا يخرجان من ثمرات هذه  
الأرض ..

وعندما تغيب الشمس ، يفرد ظهره ببطء ،  
وينظر الى المرأة ، فىرى وجهها متسخا بالأرض ..  
سمراء سمرة الأرض نفسها ، وتلتصق ملابسها  
الداكنة المبتلة بجسدها المربع وهى تمهد الصف  
الأخير بتؤدة ، وتقول بطريقتها الصريحة العادية ،

وبصوتها المنخفض ، والأكثر تبليدا عن المعتاد فى هواء  
الليل الساكن :

— سانجب طفلا .

وقف وانج لانج ساكنا .. ماذا يقول فى ذلك  
وكانها قالت « لقد أحضرت لك الشاى » أو كأنها قالت  
« يمكن ان تاكل » . يبدو الموضوع فى هذه البساطة !  
وانحنى لتلتقط قطعة حجر مكسور ، وتلقيها  
بعيدا عن الصف .. ولكن عنده هو — فلا يستطيع  
أن يفصح عن وقعه لديه ! .. وهكذا كان دورهما الآن  
فى انشاء أسرة على هذه الأرض ! ..

أخذ العزاقة من يدها . وقال وصوته غليظ فى  
حلقه :

— يكفى هذا الآن .. انه نهاية النهار ، سنخبر  
الرجل الكبير !

ثم سارا الى البيت ، وهى خلفه بمدة خطوات ..  
كان هذا هو حقها الشرعى . وكان الرجل العجوز يقف

عند الباب جائعا منتظرا وجبته المسائية التي لا يعدها  
لنفسه مطلقا ، طالما هناك امرأة بالمنزل ،  
**وصاح قائلا :**

- اننى عجوز على الانتظار على طعامى هكذا !  
**ولكن وانج لانج قال وهو يجتازه متجها للغرفة :**  
- ستتجب طفلا !

حاول أن يقولها بسهولة كما يقول « لقد بذرت  
الحب فى الحقل الغربى اليوم » ولكنه لم يستطع .  
فبالرغم من أنه تكلم بصوت منخفض فكان وكأنه صرخ  
بالكلمات .

**فضحك العجوز قائلا :**

- هيه .. هيه .. هيه ! وهكذا يأتى المحصول  
فى الطريق !

ولم يستطع أن يرى وجهها فى الظلام ،  
**ولكنها اجابت :**

- ساجز الطعام الآن .

## فقال الرجل العجوز بشفف

وهو يتبعها الى المطبخ كالطفل :

- أجل .. أجل .. الطعام !

ولكن وانج لانج جلس بجوار المائدة فى الظلام ،  
ووضع رأسه على ذراعيه المطويتين ، وهكذا تخرج من  
هذا الجسد - جسده - حياة !!

وعندما اقتربت ساعة الولادة قال للمرأة :

- لابد أن تاتى بأحد ليساعدك فى الوقت  
الراهن .. أية امرأة .. الا توجد واحدة فى المنزل  
الكبير من العبيد صديقاتك السابقات تستطيع أن  
تاتى ؟

كانت هذه هى المرة الأولى التى ذكر فيها المنزل  
الذى أتت منه - فاستدارت نحوه كما لم يرها مطلقا ،  
واتسعت عيناها الضيقتان ، وتحرك وجهها بغضب  
غبي .

وصرخت فيه :

— ولا واحدة فى ذلك المنزل !

فأسقط الغليون الذى كان يملأه ، وحملق فيها ،  
ولكن فجأة كان وجهها كمادته ، وكأنها لم تتكلم ،

فقال فى دهشة :

— حسن ، هذا شيء غريب !

ونظر اليها ، فقالت بعد لحظة :

— عندما أعود الى ذلك المنزل سيكون ابنى بين  
ذراعى ، سيكون فى رداء أحمر ، وملابس ذات زهور  
حمراء ، وستكون على رأسه قبعة بها اله ذهبى صغير  
مثبت بالخيط فى مقدمتها ، وفى قدميه حذاء عليه  
رؤوس حيوانات • وسأرتدى حذاء جديدا ، ورداء  
جديدا من القطن الأسود ، وسأذهب الى المطبخ حيث  
قضيت أيامى ، وسأذهب الى القاعة الكبرى ، حيث  
تجلس السيدة الكبيرة مع أفيونها وسأعرض نفسى  
وابنى عليهم كلهم •

لم يسمع منها مطلقا مثل هذا العدد من الكلمات من قبل . . . ورغم أنها قالتها ببطء لكن في ثبات وبدون توقف ، وأدرك أنها قد خططت كل هذا لنفسها . اذن كانت تخطط كل هذا وهي تعمل بجانبه في الحقول ، يا لها من مدهشة ! وكان يظن أنها ما فكرت في طفلها الا نادرا ، لأنها كانت تعمل في هدوء يوما بعد يوم ، ولكنها كانت تربي الطفل يولدا ، ويرتدى كامل ملابسه ، وكذلك هي كأمه في رداء جديد ! وأصبح أخرس لفترة بلا كلام ، فأخذ يضغط على التبغ باهتمام ، ويكوره بين أصابع يده ، والتقط غليونه وحشى التبغ فيه .

### وقال أخيرا :

- أعتقد أنك تحتاجين بعض النقود .

### فقالت بخوف :

- اذا أعطيتني ثلاث قطع فضية . . . انها كثير . . . أعرف ، ولكنى حسيت بدقة . ولن أضيع أى بنس منها سدى !

كان قد باع فى اليوم السابق بعض المحصول  
بسوق البلدة ، وكان فى حزامه أكثر مما تحتاجه  
بقليل ، فوضع القطع الفضية الثلاث على المائدة ، ثم  
أضاف بعد قليل من التردد قطعة رابعة ، كان قد احتفظ  
بها معه طويلا ، فى حالة لو أراد أن يلعب لعبة حظ  
أحد الأيام فى صالة الشاي ، لكنه كان دائما يخاف أن  
يخسر ، لذلك كان عادة ما يصل الى خيمة راوى القصص  
حيث يستمتع لقصة قديمة ، ولا يدفع أكثر من بنس  
فى طاسة يمر بها عليه .

### وقال :

— من الأفضل أن تأخذى قطعة أخرى . فيمكنك  
أى تعملى رداءه من قطعة حرير صغيرة ، على كل انه  
الابن البكر !

لم تأخذ النقود فى الحال ، بل وقفت تنظر اليها  
جامدة الوجه .

### ثم قالت فى همس :

— انها أول مرة أضع نقودا من الفضة فى يدي .



وفجأة اخذتها ، وأقفلت عليها يدها . وأسرعت

الى حجرة النوم .

جلس وانج لانج يدخن ، ويفكر فى الفضة وهى  
فوق المائدة . لقد خرجت هذه الفضة من الأرض  
التي يحرقها ، ويعزقها ، ويشتغل عليها . لقد استولت  
هذه الأرض على حياته وحصل منها بعرقه على الطعام ،  
ومن الطعام فضة . وفى كل مرة يخرج فيها الفضة  
ليعطياها لأى أحد ، فكان وكأنه يأخذ قطعة من حياته  
ويعطيها لشخص لا يبالي . ولكنه الآن ، ولأول مرة لم  
يشعر أن هذا العطاء كان مؤلما ، لأنه لم ير الفضة فى  
يد تاجر بالبلدة ، بل رأى الفضة تتحول الى شئ ذى  
قيمة أكثر منها . . . ملابس على جسد ابنه ! وهذه المرأة  
المدهشة ، زوجته التى تعمل ، ولا تقول شيئا ، وتبدو  
كانها لا ترى شيئا . . . قد رأت أول ما رأت الطفل وهو  
يرتدى ملابس جديدة هكذا ! . . .

رفضت أن يكون معها أى أحد عندما جاءت  
ساعتها . . . جاءت مبكرا فى احدى الأمسيات عندما كادت  
الشمس تغرب ، وكانت تعمل بجانبه فى جنى المحصول

.. كانت تقطع ببطء أكثر وأكثر ، فاستدار لينظر إليها فى غضب ، فتوقفت وانتصبت آنئذ ، وبدأ على وجهها عرق جديد ، عرق ألم جديد .

فقالت :

- لقد أتت .. سأذهب الى المنزل ، لا تدخل الحجرة حتى أنادى .

وعندما وصل المنزل وجد عشاءه ساخنا على المائدة ، والعجوز يأكل . لقد وقفت لتعد الطعام لهما ! فقال لنفسه ان مثل هذه المرأة ليست شائعة الوجود ، ثم ذهب الى باب حجرتها ، فسمعها تتنفس على نحو ثقيل ، كما يتنفس حيوان ركض مسافة طويلة ، ورفع العجوز بصره من طاسته ليقول :

- كل ، والا سيبرد كل شيء !

ثم اردف قائلا :

- لا تزعج نفسك ، ما زال الوقت طويلا بعد .

لكن وانج لانج ظل يستمع عند الباب لتنفسها  
الثقيل الذي أصبح سريعاً وعالياً ، لكنها لم تصدر أى  
صوت آخر . . . وعندما أصبح غير قادر على التحمل أكثر ،  
وعلى وشك أن يقتحم الحجرة ، صدرت صرخة رفيعة  
حاددة فنسى كل شيء .

**وصاح ناسيا المرأة :**

- انه رجل ؟ !

وانطلقت صرخة رفيعة ثانية ، فصاح ثانية :

- اخبرينى على الأقل بذلك - هل هو رجل ؟

فاجاب صوت المرأة بضعف :

- رجل !

ذهب عندئذ وجلس الى المائدة . كان الطعام بارداً ،  
والرجل المعجوز نائماً على مقعده ، فهز كتف أبيه  
المعجوز .

**وقال بافتخار :**

- انه طفل رجل . انت جد ، وأنا أب !

استيقظ الرجل العجوز فجأة ، وبدأ يضحك :

- أجل .. أجل .. طبعاً .. جد .. جد !

ونفض ، وذهب الى فراشه وهو لا يزال

يضحك .

شعر وانج لانج بالجوع مرة واحدة ، فرفع طاسة  
الأرز البارد ، وبدأ يأكل ، ويأكل .. وعندما أكل كل  
ما يرغب ذهب نحو الباب ثانية ، فنادت عليه ليدخل ،  
فدخل . كانت راقدة على الفراش ومغطاة بشكل  
مرتب ، وبجانبيها يرقد ابنه ملفوفاً في ملابسه هو  
القديمة . وتقدم ولم يجد للحظة كلمات في فمه ،  
فانحنى على الطفل ينظر اليه . كان له وجه مستدير ،  
ويبدو أسمر جداً ، وعلى رأسه شعر طويل رطب  
وأسود ، ولم يتوقف عن الصراخ وهو راقد بعينه  
المضقتين بأحكام .

ونظر الى زوجته ، ونظرت اليه .. كان شعرها  
لا يزال مبتلاً بالعرق ، وعيناها الضيقتان غبيتين ،  
لما خلاف ذلك فكانت كما هي عليه دائماً .. لكنها

حركت مشاعره ، وهى راقدة هناك ، فاندفع قلبه نحو  
هذين الاثنين .

**وقال وهو لا يعرف أى شىء آخر يمكن أن يقال :**

- سأذهب الى المدينة غدا لأشتري رطلا من  
لسكر الأحمر ، وأحركه فى ماء مفل لتشريبه .

ثم نظر للطفل ثانية .. هذا الذى خرج من  
صلبه .. أخذ يفكر فى ذلك :

- يجب علينا أن نشترى سلة مملوءة بالبيض  
ونلونه باللون الأحمر ، عندئذ سيعرف كل الناس ،  
أن عندى ولد !!

the same time, the fact that the system is not yet fully developed, and that the system is not yet fully developed, and that the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

The system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed, and the system is not yet fully developed.

## الفصل الثالث

---

وعادت المرأة ثانية الى الحقول بجانبه ، قبل أن يدرك أحد أى شيء . كان المحصول قد تم جمعه ، وأخذ يضرب هو وهى الغلال على أرضية جامدة من الفناء الخارجى القريب من باب المنزل . وبعدما يتم ضرب الغلة يخزنونها ، فكانا ينثرانها الى أعلى نحو الريح من على سلال مسطحة كبيرة ، ثم يلتقطان الغلال الجيدة وهى تسقط ، بينما تتطاير النفايات بعيدا فى سحابة مع الريح . ثم هناك الحقول التى تبذر بغلة الشتاء ثانية ، وعندما أخرج الثور ، وحرث الأرض كانت المرأة تتبعه من خلفه ، ومعها عزاقتها التى تكسر

بها العيدان فى صفوف مترابطة . وكانت حاليا تشتغل طوال اليوم بينما يرقد الطفل على الأرض نائما فوق غطاء سرير قديم ممزق ، وعندما يبكى تتوقف المرأة ، وتجلس على الأرض ، وترضعه . وكانت الشمس تضربهما سويا . شمس آخر الخريف التى لا تدع دفء الصيف يفلت منها حتى يجبرها برد الشتاء القادم على ذلك . وكانت المرأة والطفل سمرائين كالتربة ، وكانا يجلسان هناك كتمثالين مصنوعين من طين الأرض ، وغبار الحقول فوق شعر المرأة ، وفوق رأس الطفل الأسود الناعم .

جاء الشتاء وكانوا مستعدين له ، ولديهم محصول لم يحصلوا على مثله من قبل ، وكادت الحجرات الثلاث الصغيرة تنفجر ، فمن أعمدة السقف تتدلى جدائل وجدائل من البصل والثوم الجاف ، وحول الحجرة الوسطى ، وفى حجرة الرجل العجوز ، وفى حجرتهما حصير ملفوف فى أشكال سلال كبيرة ، مملوءة تماما بالقمح والأرز . وسيباع الكثير منها . لكن كان وانج لانج حريصا ولم يفعل ، مثل كثير



من القرويين الذين يصرفون نقودهم بحرية على العاب  
الحظ أو أطعمة مرهفة أكثر من اللازم ، لذلك لم يكن  
مضطرا لبيع الغلة مثلهم فى وقت المحصول حيث  
السعر منخفض .

كان عمه مضطرا لبيع غلته حتى قبل أن تنضج  
جيذا ، وكانت زوجة عمه اه اة حمقاء ، بدينة وكسولة ،  
ودائما تطلب حلويات وأطعمة من هذا النوع ومن ذاك ،  
وتشتري أحذية جديدة من البلدة . أما زوجة  
وانج لانج فتصنع جميع أنواع الأحذية له نفسه  
وللرجل العجوز ولقدميها وللم طفل ، ولم يكن يدرى  
ماذا يفعل اذا رغبت فى شراء حذاء !

ولا يوجد أى شىء معلق فى أعمدة السقف بمنزل  
عمه القديم . أما فى منزله فكان معلقا فخذ من اللحم  
الملح ، كان قد اشتراه من جاره شمينج . كان الفخذ  
ضخما ، ولقد ملحته أو - لان باتقان ، وعلقته ليجف ،  
كذلك فقد ذبحوا دجاجتين من دجاجهم وجففتها  
بريشهما ، وملاتهما بالملح !

كانوا وهم يجلسون فى المنزل محاطين بهذا  
الثراء ، وريح الشتاء تأتى من الصحراء الشمالية  
الشرقية ، وسقطت الأوراق من الشجرة المجاورة  
للباب وأشجار الحقول كذلك ، ثم جاءت الأمطار فجأة  
فى يوم ذى غيوم كثيرة ، وعندما ماتت الريح فى الأنواء  
البعيدة ، وكان الهواء هادئا ودفتا ، ويجلس جميعهم  
يلفهم الرضا ويرقبون المطر المتساقط فى استقامة  
غائضا فى الحقول المحيطة بالفناء ويتساقط من طرف  
السطح فوق الباب ، وكان الطفل مندهشا ماذا يده  
ليمسك بخطوط المطر الفضية وهى تتساقط ، وأخذ  
يضحك وضحكوا معه ، وجلس الرجل العجوز على  
الأرض بجانب الطفل .

### وقال :

لا يوجد لطفلنا مثيل فى القرى ، فأطفال أخى  
لا يلاحظون شيئا قبل أن يستطيعوا المشى وحدهم !

وفى الحقول تنمو بذور القمح ، وتدفع بنبتتها  
الخضراء الرقيقة أعلى الأرض السمراء المبتلة ، وبقي

وانج لانج فى المنزل ، بينما المرأة ترفى الملابس وتقوم  
بأعمال الحياطة ، يأخذ هو جرافاته الخشبية ويتفحصها ،  
ويضع قطعة خشب جديدة فى الجزء المكسور منها •

وما كان يعمل لأدوات الزراعة ، تعمله زوجته  
أو - لان لما يخص شئون المنزل • فإذا كان هناك  
أصيص يتسرب منه الماء ، فهى لا ترميه جانبا ، أو تطلب  
آخر جديدا مثل النساء الأخريات ، وبدلا من ذلك كانت  
تخلط التراب بالطين وتسد الشق وتسخره ببطء  
فيصبح كالجديد •

وهكذا كانوا يجلسون فى بيتهم مستمتعين  
برضاء كل واحد منهم ، رغم أن كلامهم لم يكن أكثر من  
كلمات مبشرة مثل :

« هل حفظت الحبوب للبذرة الجديدة ؟ » أو  
« سنبيع قش القمح ونشعل أوراق الفول فى المطبخ » •

وحصل وانج لانج من محصول هذا العام على  
حفنة من الفضة تزيد عما يحتاجونه ، فحفرت المرأة

بمهارة فتحة صغيرة في الجدار الداخلى لحجرتيها خلف  
الفراش ، وأدخل وانج لانج الفضة فيها ، وبقالب من  
طوب غطت الفتحة ، فبدت وكأنه لا يوجد شيء هناك ،  
وأدرك وانج لانج ان لديه نقودا اكثر مما يحتاج لانفاقه ،  
وأخذ يسير بين أقرانه وهو مرتاح مع نفسه ، ومع  
الجميع .

اقتربت السنة الجديدة ، وكانت الاستعدادات  
موجودة في كل منزل . وذهب وانج لانج الى البلدة  
واشتري مربعات من الورق الأحمر ، مرسوم على بعض  
منه بالذهب علامة للسعادة ، وعلى البعض الآخر علامة  
للغنى ، وقام بلصق هذه المربعات على أدوات الزراعة  
لتجلب له الحظ في العام الجديد ، فلصق مربعا على  
محراثه ، وعلى الجردين ، ثم لصق على أبواب منزله  
شرائط طويلة من الورق الأحمر المرسوم بالحروف  
لحسن الطالع ، ولصق فوق مدخل الباب ورقا أحمر  
مقطعا بمهارة الى نماذج زهرة مكررة ، كما اشتري ورقا  
أحمر ليعمل ملابس جديدة للآلهة ، وهذا ما قام بعمله  
الرجل العجوز بمهارة برغم يديه المرتعشتين ، وأخذها

وانج لانج والبسها لالهى الأرض الصغيرين فى المعبد ،  
وأشعل بخورا أمامهما من أجل السنة الجديدة !

وذهب وانج لانج ثانية الى البلدة ، واشترى سمنا  
وسكرا أبيض ، وأخذت المرأة طحين الارز الذى طحنوه  
من أرزهم بين حجرى الرحى الحجرية التى يمكن أن  
يديرها ثورهم اذا احتاجوا ، وأخذت السمن والسكر  
وعملت كعكا رائعا للعام الجديد يسمى كعك القمر  
تماما كالذى يؤكل فى منزل هوانج .

وفى اليوم التالى للسنة الجديدة نهضوا عند  
شروق الشمس والبست المرأة الطفل رداءه الأحمر  
وحذاءه على شكل وجوه حيوانات والذى قامت هى  
بعمله ، ووضعت فوق رأسه التى حلقها له حديثا  
وانج لانج بنفسه فى آخر أيام السنة القديمة ، قبعة  
جبراء عليها اله ذهبى مثبت بالحيط على مقدمتها  
وأرقدته على السرير ، ثم ارتدى وانج لانج ملابس  
بسرعة ، بينما أخذت زوجته تمشط شعرها الطويل  
وضفرته ، وارتدت رداءها القطنى الأسود الجديد ، ثم

حمل هو الطفل ، وحملت هى بعض كعك القمر ، وسارا  
على الطريق الضيق عبر الحقول .

وعند بوابة منزل هوانج الكبيرة ، حصل وانج لانج  
على مكافأته ، عندما صرخ حارس البوابة :

- آه ، وانج الفلاح . . ثلاثة هذه المرة بدلا من  
واحد !

ثم شاهد الملابس الجديدة التى يرتدونها  
جميعهم ، والطفل الذى كان ذكرا .

**فاردى قائلا :**

- لا داعى أن نتمنى لك هذه السنة حظا أكثر مما  
حصلت عليه فى السنة الماضية !

اجاب وانج لانج بلا مبالاه ، مثل ما يتكلم الشخص  
مع نده :

- لقد فزت بمحاصيل جيدة . . محاصيل  
جيدة !

فأبدى حارس البوابة الاحترام بعدما شاهده .

## وقال لوانج لانج :

- اجلس فى حجرتى البائسة ، لأبلغ بقدوم امرأتك وأبنك •

دخل وانج لانج منزل حارس البوابة وقبل طاسة الشاي بطبيعة الحال التى أحضرتها زوجة حارس البوابة ذات الوجه المبثور بالجدرى ، ولكنه لم يشربه وكأنه ليس طبيا بما فيه الكفاية ليناسبه من ناحية نوعية أوراق الشاي •

بدا وكأنه مر وقت طويل قبل أن يعود حارس البوابة ، ومعه ثمانية المرأة وطفلها ، وكان عليها نظرة رضا عميقة • وبانحناءات قصيرة لحارس البوابة وزوجته ذات بشرات الجدرى حث أو - لأن بالاسراع ، وأخذ الطفل الذى كان نائما بين ذراعيه ، وقال من فوق كتفه ناحية الخلف وهى تتبعه :

- حسن ؟

وللمحظة أحس بنفاد الصبر لبطشها ، فاقتربت منه قليلا •

**وقالت فى همس :**

– أعتقد ان لديهم عجزا ماليا هذه السنة فى  
هذا المنزل !

كانت تتكلم بصوت مفعوج ، كما يتكلم شخص  
عن آلهة فى حالة جوع .

**فحثها وانج لانج مستفسرا :**

– ماذا تقصدين ؟

لكنها لم تتمجل ، فالكلمات بالنسبة لها أشياء  
تقتضى أن تنطق واحدة واحدة .

**وتكلمت بصعوبة :**

– السيدة الجليظة .. ترتدى هذا العام نفس  
رداء العام الماضى ! لم أر هذا يحدث من قبل ، والعبيد  
ليس لديهم ملابس جديدة .

**ثم أردفت بعد فترة :**

– أما بخصوص ابننا ، فلا يوجد طفل حتى بين



عبيد السيد الكبير نفسه ليقارن به فى الجمال  
والملبس .

انتشرت ابتسامة بطيئة فوق وجهها ، وضحك  
وانج لانج مقهقها ، وأمسك بالطفل بحنان فى صدره .  
- هل عرفت ما سبب عجزهم المالى ؟

- تكلمت مع الطباخة التى كنت أعمل معها من  
قبل ولكنها قالت « لا يمكن أن يظل هذا المنزل للأبد  
مع كل هؤلاء السادة الصغار ، خمسة منهم ينفقون المال  
مثل الماء فى أماكن بعيدة ، ويرسلون للبيت امرأة  
تلو الأخرى لأنهم متبرمين منهم ، كما يضيف السيد  
الكبير عبدا أو اثنين كل سنة . والسيدة الكبيرة تدخن  
أفيونا كل يوم يكفى لماء حذاءين كبيرين بالذهب ،  
والابنة الثالثة ستتزوج فى الربيع وسيكلف ذلك  
الكثير » .

ثم اردفت بعد فترة صمت طويل :

- يبدو أنهم سيزدادوا فقرا لأن السيدة الكبيرة  
اخبرتني بنفسها أنهم يرغبون فى بيع بعض الأرض ..

الأرض التى تقع جنوب المنزل داخل حائط المدينة مباشرة ، حيث كانوا يزرعون دائما الارز كل عام لانها أرض جيدة ، وسهلة الري من مجرى الماء المجاور للحائط .

**فقال وانج لانج مكررا :**

- يبيعون أرضهم ؟ اذن هم فى الحقيقة يزدادون فقرا ، فالأرض جسم الانسان ودمه .  
وفكر لفترة ، ثم جاءت فكرة فجائية .

**فصرخ وهو يلتفت للمرأة :**

- لماذا لم أفكر فى ذلك ! سوف نشترى الأرض !

ونظرا لبعضهما هو فى بهجة وهى فى اندهاش .

**وصرخ فى صوت مرتفع :**

- سأشتريها .. سأشتريها من منزل هوانج

**الكبير !**

- انها بعيدة ، فعلينا أن نسير الصباح كله لتصلها .

**فكره :**

- سأشتريها !

**وفجأة وقفت وقالت :**

- انه شيء جديد أن نشترى الأرض ، فأرض  
الأرز جيدة ، وقريبة من مجرى الماء الكبير ، وبذلك  
يمكننا الحصول على الماء طوال السنة بالتأكيد .

ثم انتشرت ثانية الابتسامة البطيئة على وجهها ،  
الابتسامة التي لم تضىء تبعد عينيها الضيقتين مطلقا ،  
وقالت بعد فترة طويلة من الصمت :

- فى مثل هذا الوقت من العام الماضى كنت عبدة  
فى ذلك المنزل !

واستمررا فى السير صامتين ، مستغرقين فى هذه  
الفكرة .

غيرت قطعة الأرض هذه ، التي اشتراها وانج لانج  
حياته كثيرا . وفى البداية تمنى استرجاع فضته ثانية ،  
عندما شاهد فتحة الجدار المملوءة بالفضة خاوية ،

لكن الأرض أصبحت ملكه ! وخرج فى يوم غائم من الشهر الثانى للسنة الجديدة ليراها ، لم يعرف أحد بعد أنها أصبحت ملكه . واخذ يمشى فيها ليراها بنفسه . كانت حقلا طويلا من الطين الاسود الثقيل ، ممتدا بجانب مجرى الماء المحيط بحائط البلدة . واخذ يفكر فى داخل نفسه وهو ينظر اليها :

— لا تعنى هذه القطعة الصغيرة من الأرض الكثير بالنسبة لأصحاب المنزل الكبير ، لكنها تعنى الكثير بالنسبة لى !

كان عندئذ مفعما بالتصميم والعزيمة ، وقال فى سره انه سيملا الفتحة التى فى الجدار بالفضة ثانية ، وحتى انه قد يشتري من منزل هوانج كثيرا من الاراضى حتى أن هذه الأرض التى لديه الآن ستبدو لا شئ على الاطلاق .

وجاء الربيع برياح قوية ، وسحب يمزقها المطر ، فكان ذلك بالنسبة لوانج لانج عبارة عن أيام طويلة من العمل فى ارضه ، واخذ الرجل الكبير يعتنى بالطفل

والمرأة تعمل مع زوجها من شروق الشمس حتى مغيبها،  
الى أن رأى وانج لانج فى يوم ما أنها ستنجب طفلا  
آخر ، فى بادئ الامر يشعر بالحنق الا أنها لن تستطيع  
العمل اثناء المحصول ، وصاح بها :

- وهكذا ، اخترت هذا الوقت لتنجبين طفلا

آخر ، هكذا ؟

**فاجابت بعزم :**

- هذه المرة خفيفة . فالمرء الاولى فقط هى

الصعبة .

لم يذكر أى كلام آخر غير ذلك عن الطفل الثانى  
حتى جاء صباح يوم فى أيام الخريف وضعت فيه  
عزقتها على الأرض ، وجرت نفسها عائدة الى المنزل .  
ولم يعد هو الى المنزل فى ذلك اليوم ، حتى لتناول  
وجبة الظهر ، لأن السماء كانت مثقلة بالسحب الرعدية  
وأرزه يرقد ناضجا منتظرا الجنى .. وقبل غروب  
الشمس عادت تعمل بجانبه ، فاراد أن يقول لها فى  
البداية :

• - لقد قمت بعمل بما فيه الكفاية هذا اليوم .  
أذهبى ، ارقدى فى فراشك !

ولكن عمل جسده المكثود جعله قاسيا ، وقال فى  
نفسه انه عانى ذلك اليوم ، مثل ما عانت ، ولذلك  
استفسر فقط قائلا :

- أهو ذكر أم أنثى ؟

فاجابت بهدوء :

- انه ذكر آخر .

ولم يقولوا شيئا لبعضهما ، ولكنه ابتهج ، وأصبح  
الانحناء والانبساط المستمرين أقل صعوبة ، وعملا  
معا حتى أشرق القمر ، وعندما انتهيا من الحقل عادا  
الى البيت .

وبعد ما أكل ، وغسل جسده الذى لوحته  
الشمس ، بماء بارد ، وأشفى غليل عطشه بالشاي ،  
دخل وانج لانج ينظر الى الابن الثانى . أبناء كل عام ،  
فالمنزى يمتلىء بشروة طيبة . لم تجلب له هذه المرأة

سوى الثروة الطيبة ، وكانت المحاصيل جيدة مرة ثانية ، وجمع وانج لانج الفضة من بيع منتجاته ، وخبأها مرة أخرى فى الجدار . والأرز الذى جمعه من أرض هوانج جلب له سعرا مضاعفا عن أرز أرضه هو ، حيث كانت أرض تلك القطعة رطبة غنية ، والأرز ينمو فيها كما تنمو الاعشاب حيثما تشاء . وعرف كل الناس الآن أن وانج لانج يملك تلك الأرض ، وكان هناك كلام فى القرية ليجعلوه كبيرهم .

بدأ فى ذلك الوقت عم وانج لانج يشكل قلقا ، كان قد حسب وانج لانج من البداية بأنه قد يحدث ، فهذا العم هو الاخ الاصغر لأبيه ، وحسب التقاليد يمكنه كقريب أن يعتمد على وانج لانج ، اذا لم يكن لديه ما يكفيه هو وعائلته .

وفى أحد الأيام جاء عمه الى الحقل ، حيث يعمل وكانت أو - لان غير موجودة لاقتراب ولادة ثالثة لها . وفى هذه المرة لم تكن فى حالة صحية حسنة ، لذلك كان وانج لانج يعمل بمفرده فى حث صف من الفول،

ووقف عمه صامتا ، الى أن قال وانج لانج أخيرا بفظافة  
دون أن يرفع بصره :

— أسالك المذرة يا عمى لعدم توقفي عن العمل،  
فهذا القول يجب أن يحرث مرتين أو ثلاث مرات كما  
تعلم ، لاشك أنك انتهيت من فولك • اننى بطيء جدا  
— فلاح فقير — لا أنهى عملي فى وقته مطلقا حتى  
ارتاح •

وفهم عمه تماما ما يعنيه رانج لانج ، ولكنه أجاب  
بلطف :

— اننى رجل سيء الحظ • فهذه السنة خرجت  
حبة واحدة من عشرين حبة ، ونمت بشكل فقير ، فلا  
فائدة حتى فى حرثها ، وعلينا أن نشترى حبوبا هذه  
السنة ان كان لنا حظ فى أكلها على الإطلاق •

لم يعقب رانج لانج بأى تعليق ، فأودف عمه  
قائلا بعزنى :

— اذا كان لدى حظ طيب لتزوجت واحدة  
تستطيع العمل ، وفى نفس الوقت تنجب أبناء كما



تفعل زوجتك أيضا بدلا من امرأة مثل امرأتى التى لا تنبت الا لحما ، ولا تنجب الا اناثا وهذا الابن الكسول الذى لن يحسب ضمن الرجال بسبب كسله وكنت انا أيضا سأصبح الآن غنيا مثلك . وعندئذ كنت سأشاركك فى غناى عن طيب خاطر ، وكنت زوجت بناتك لرجال طيبين ، وألحق ابنك فى دكان تاجسر ليتعلم ، وابتهج لاصلاح منزلك ، وكنت أطعمك أفضل ما لدى أنت وأباك واولادك ، لأننا دم واحد .

### **فاجاب وانج لانج بالقتضاب :**

— انك تعلم بأننى لست غنيا ، فلدى خمسة أفواه أطعمها حاليا ، وابى كبير لا يعمل ، لكنه لا يزال يأكل كما سيولد فم آخر فى المنزل بين لحظة وأخرى ، هذا كل ما أعرفه .

### **فاجابه عمه بصوت عال :**

— أنت غنى . . أنت غنى ! لقد اشتريت الأرض من البيت الكبير ، والآلهة وحدها تعلم بأى سعر — هل يوجد احد يستطيع أن يفعل ذلك فى القرية كلها ؟

أثار ذلك حنق وانج لانج ، فالتقى بعزاقته أرضا  
وصاح فجأة :

- اذا كان لدى حفنة من الفضة ، فذلك لأننى  
أعمل وزوجتى تعمل ، ولا نجلس كغيرنا كسالى على  
مائدة صالة الشاي أو نتكلم على عتبات أبواب لم تكنس  
أبدا ، وندع الحقول تتحول الى أعشاب ضارة وأطفالنا  
أنصاف جائعين !

طفع الدم فى وجه عمه الأصفر ، فاندفع نحو  
ابن أخيه ، وضربه بقسوة على وجهه وقال :

- خذ هذا ، أتتحدث هكذا لعمك أخى ابيك ؟  
أليس لك دين ! أو اخلاق ! حتى ينقصك السلوك  
الصحيح لهذه الدرجة ؟ ألم تسمع فى الكتب المقدسة  
أنها تنهى الانسان أن يراجع من هم أكبر منه ؟

وقف وانج لانج بلا حركة ، شاعرا بخطئه ولكنه  
كان حائقا فى أعماق قلبه من هذا الرجل الذى صرخ  
فى صوت مرتفع مشروخ من الغضب مرات متكررة :

- سأقولها للقرية .. سأقولها للقرية .. !

**فقال وانج لانج اخيرا عن طيب خاطر :**

- ماذا تريدني أن أفعل ؟

لقد خاف أن يذاع هذا الموضوع في القرية  
فيجرح كبرياءه ، ومهما يكن فهذا لحمه ودمه . وتغير  
عنه في الحال ، وزال الغضب عنه وابتسم واضعاً يده  
على ذراع وانج لانج ، وقال بركة :

- آه ، أنا أعرفك .. ولد طيب .. ولد طيب ..

ان عمك السجوز يعرفك - انت ابني .. ابني ، قطع  
فضة قليلة في هذه اليد المسنة الفقيرة - قل عشر قطع  
أو حتى تسعا .. ويمكنني أن ابدأ في ترتيب زواج  
لابنتي .

التقط وانج لانج عزاقته ، ثم القى بها ثانية ،

**وقال باقتصاب :**

- تعال الى المنزل ، فانا لا أحمل الفضة معي

كالمملك .

سار أمامه وحنقه يمنعه عن الكلام لان بعض المال  
الذى خطط أن يشتري به ارضا أخرى ، سيذهب الى  
يد عمه . ودخل الى الحجرة التى ينام فيها مع زوجته  
وطفله الأخير . وكانت معتمة جدا ، خصوصا لانه قادم  
من نور الشمس المبهر ، ولم يستطع أن يرى شيئا عدا  
شعاع الضوء القادم من الفتحة ، وشم رائحة دم دافئ  
يتذكره جيدا ، فصاح بحدة :

— ماذا الآن ! هل جاء موعدك ؟

فجاء صوت زوجته من الفراش بضعف أكثر مما  
سمعها تتكلم به فى أى وقت من قبل :

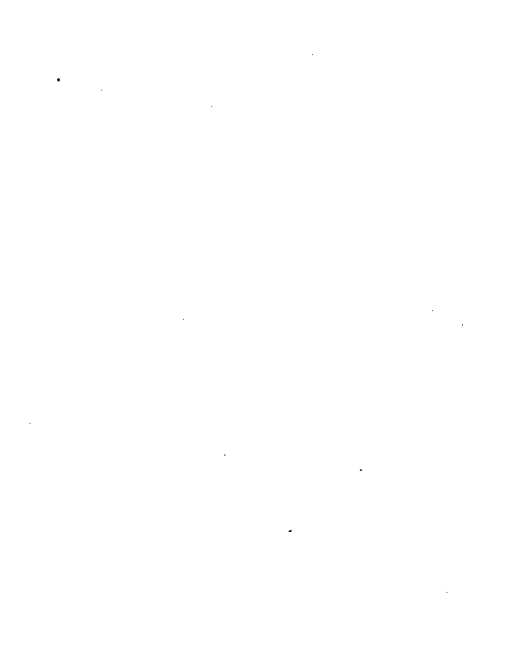
— لقد انتهيت مرة أخرى — أنها مجرد عبدة هذه  
المرة — لا تستحق أن تذكر !

وقف وانج لانج ساكنا ، وأصابه احساس  
بالشؤم . بنت ! بنت ! بنت ولدت فى هذا البيت !؟

وخرج وألقى بالمال لعمه ، ومشى بسرعة عائدا الى  
الحقل ، واندمج فى العمل ثانية . وجاء المساء قبيل

أن يزول حنقه ، فرفع قامته واعتدل ، وتذكر منزله وطعامه ، ثم فكر فى هذا الغم الجديد الذى جاء فى ذلك اليوم الى منزله . وشعر بالأسف ، فلقد بدأ مولد البنات عنده . . البنات اللاتي لا ينتسبن لآبائهن ولكن يولدن ويربين لعائلات أخرى . حتى أنه لم يفكر أثناء غضبه من عمه أن يتوقف ويرى وجه هذه المخلوقة الصغيرة الجديدة .

ووقف مستندا على عزاقته وقد خيم عليه الحزن ، قد يحتاج الى محصول آخر قبل أن يستطيع شراء هذه الأرض الآن ، انها قطعة ملاصقة لأرضه . وهناك هذا الغم الجديد فى المنزل . . وطارت عبر سماء الليل الرمادية الشاحبة مجموعة من الطيور فاحمة السواد وهى تزرق عاليا ، وراقبها تختفى كسحابة فى الاشجار المحيطة بمنزله ، فركض اليها صارخا وملوحا بذراعيه ، فارتفعت ثانية ببطء ، محلقة فوق رأسه ، مثيرة لغضبه بصراخها ، الى أن طارت أخيرا فى السماء المدلهمة . فصرخ عاليا . . انها اشارة بأن حظا سيئا سيصيبه !



## الفصل الرابع

كان يبدو أن الآلهة قد تنكرت للإنسان ، فلن تتطلع إليه ثانية ، فالامطار التي كان من المفروض أن تأتي في بداية الصيف ، تمتعت عن القدوم ، والسماء تسطع بلا مبالاة باسراق نشاط يوما بعد يوم ، فجفت الحقول وتشققت برغم أن وانج لانج يحرقها كل يوم بدون انقطاع . . . كما توقف القمح الصغير عن النمو وظل بلا حركة تحت الشمس ، حتى ذبل ومات . وكانت شتائل الارز التي بذرها وانج لانج عبارة عن مربعات من اللون الأخضر على الأرض السمراء . .

وبرغم انه يأس من نمو سنابل القمح ، فقد اخذ يحمل  
لها الماء كل يوم بواسطة الجرادل الخشبية الثقيلة  
المعلقة على دعامة فوق كتفيه .

وفى النهاية غاص مستوى الماء فى البئر للدرجة  
ان او - لان قالت له :

- اذا كان لابد للاطفال ان يشربوا ويحصل الاب  
الكبير على مائه الساخن ، فلا بد من ان يجف الزرع !

**فاجاب وانج لانج بغضب :**

- حسن ، سيموت الجميع لو مات الزرع .

كان ذلك حقيقيا ، فحياتهم كلها تعتمد على  
الأرض . وقطعة الارض التى أثمرت فقط هى التى  
بجانب مصرف البلدة ، وذلك لأن وانج لانج قد ترك  
كل الحقول الاخرى وبقي طول النهار فى هذه القطعة  
يحصل على الماء من المصرف ويصبه فى التربة العطشى .  
ولاول مرة يبيع محصولها هذه السنة ، وعندما وصلت  
الفضة الى يده ، قبض عليها بقسوة ، وقال لنفسه بأنه



سيفعل ما عقد العزم عليه . لقد كسر ظهره وأراق عرقه  
لهذه الحفنة من الفضة ، وسيفعل بها ما يريد . فأسرع  
الى منزل هوانج وقابل وكيل الارض هناك ، وقال  
بدون رسميات :

— لدى مال لأشترى الأرض الملاصقة لأرضي بجانب  
مصرف البلدة .

لقد سمع وانج لانج من هنا وهناك أن هذه السنة  
كانت أكثر فقرا على منزل هوانج . . فالسماء لم ترسل  
المطر الى حقول منزل هوانج أيضا فلم تدر أى محصول  
لذلك عندما جاء وانج لانج الى الوكيل صارخا « معى  
فضة » ، فكان كمن قال لجائع « معى طعام ! » وانتقلت  
النقود من يد الى أخرى ، وتم التوقيع على الاوراق  
وأصبحت الأرض ملكا له .

أصبح لديه الآن حقل كبير من الأرض الطيبة  
لان الحقل الجديد أكبر مرتين من الحقل الاول .  
كونه اشتراه من عائلة هوانج كانت حقيقة أكثر أهمية

بالنسبة له عن أى شىء آخر . ولم يخبر احدا بما فعله  
هذه المرة ، ولا حتى أو - لان !

ومر شهر وراء شهر ، ولم تمطر السماء ، وأخذ  
وانج لانج من حقوله محصولا ضئيلا من الحبوب ،  
وتساقطت حبات القمح من قمم سنابله هنا وهناك ،  
وعندما جاء يكنس ما تبقى ليستخدمه فى اشعال النار ،  
تكلمت زوجته قائلة :

- كلا . لا تهدره فى الحريق ، أتذكر عندما  
كنت طفلة فى شانتونج جاءت سنوات مثل هذه ، فكنا  
نطحن كل جزء ، فهو افضل على أية حال من  
العشب .

وسكت الجميع حتى الاطفال ، عندما تكلمت .  
كان الخوف يحيط بهم فى تلك الايام الغريبة ،  
فالشمس مشرقة والأرض عاجزة !

واهتم وانج لانج بشوره بقدر ما يستطيع ، فكان  
يطعمه قليلا من القش وحفنة من العشب ، وبعد ذلك

كان ينزع أوراق الشجر ويعطيها له كطعام ، حتى  
جاء الشتاء وذهبت هذه أيضا ، وجاء يوم ولم يبق في  
البيت أرز ولا قمح ولم يوجد الا قليل من الفول ، وكان  
الثور يصرخ من الجوع ، فقال الرجل الكبير :

- سناكل الثور !!

فصرخ وانج لانج عندئذ ، وكان اياه قد قال  
« سناكل انسانا ! » ، لقد كان الثور رفيقه في الحقول  
وكم سار من خلفه يمدحه ، ويسبه ، ومن صباه وهو  
يعرف الحيوان منذ أن اشتروه صغيرا ، فقال بحزن  
شديد :

- كيف ناكل الثور ؟ وكيف نحرث ثانية ؟

ولكن الاب العجوز اجاب بهدوء :

- حسن .. اما حياتك أو حياة الحيوان ! أو  
حياة ولدك أو حياة الحيوان .. فالانسان يمكن أن  
يشترى ثورا آخر ولكنه لا يستطيع أن يشتري حياة  
أخرى !

فقال وانج لانج بغشونة

— اذبحوه اذن ، أما أنا فلا أستطيع أن اقوم بذلك .

وذهب الى الحجرة حيث ينام ، وطرح نفسه على الفراش ، ولف الغطاء حول رأسه ، حتى لا يسمع الحيوان وهو يذبح . . . وانسلت أو — لان خارجة ، واصططحت معها سكيننا كبيرا كان عندها بالمطبخ ، وجزت به رقبة الحيوان بجرح غائر أنهى حياته . . . ولكن الثور سرعان ما تم أكله وهرست عظامه وكأنه لم يكن .

كان هناك من البداية غضب بالقرية ضد وانج لانج ، لأنه من المفروض أن لديه فضة يخفيها ، وطعاما مخزونا في مكان ما . وأتى عمه الذي كان من بين أول من جاعوا فجاء يشحذ على الباب ، وفي الحقيقة كان الرجل وزوجته واولاده السبعة في حالة بائسة وليس لديهم شيء يأكلونه . وضع وانج لانج — وهو كاره — في ازار ملابس عمه كومة صغيرة من الفول وحفنة ثمينة من القمح ، ثم قال بعزم :

— انه كل ما أستطيع الاستغناء عنه ، ولدى أبى العجوز فوق كل اعتبار ، حتى لو لم يكن لدى أطفال .

وعندما أنت عائلة وراء أخرى على مخزوننها ،  
وأنفقت آخر عملة لديها في أسواق البلدة ، ثم جاءت  
رياح الشتاء من أعلى الصحراء باردة كسكين من  
الصلب . استحوذ على قلوب المقرويين الجنون بجوعهم  
وجوع زوجاتهم وعويل أطفالهم ، وهمس عم وانج لانج  
في الشارع « هناك من عنده طعام - هناك من لا يزال  
أولاده ممثلين » فأخذ الرجال العصي ، وذهبوا في إحدى  
الليالى الى منزل وانج لانج وطرقوا الباب . وعندما  
فتحه على أصوات جيرانه . ضربوه ، ودفعوا به عن طريق  
الباب . وألقوا بأولاده المفزوعين خارج المنزل . وقتشوا  
كل ركن . ومزقوا بأيديهم كل شيء ليعرفوا أين طعامه .  
ولما وجدوا مخزنه البائس ليس فيه شيء سوى قليل  
من الفول الناشف ، وكيلة من القمح الجاف . فاطلقوا  
صرخة خيبة أمل غاضبة ، وامسكوا بقطع أثاثه : المائدة  
والمقاعد والفراش الذى يرقد عليه الاب الكبير خائفا  
مولولا ، فصاحت أو - لان :

- ليس هذا أيضا . . لم يأت الوقت بعد لتأخذوا  
مائدتنا ، ومقاعدنا وفراشنا من منزلنا . لقد أخذتم كل

طعامنا ، أنتم أنفسكم لم تبيعوا موائدكم ومقاعدكم  
من منازلكم بعد ، فلنتركوها لنا . نحن متساوون في  
المصيبة ، وليس لدينا حبة فول ، ولا حبة قمح أكثر  
منكم - بل لديكم أنتم أكثر منا الآن - لأنكم أخذتم كل  
ما لدينا . وستأخذكم السماء بغتة إذا أخذتم أكثر ،  
وسنذهب الآن سويا لنلتقط العشب والحطب من  
الأشجار - انتم من أجل اولادكم ، ونحن من أجل  
اولادنا .

فخجل الرجال أمامها وخرجوا واحدا وراء الآخر ،  
لأنهم لم يكونوا اشرارا الا عندما يموتون من الجوع  
وقلة الطعام !

ووقف وانج لانج في فناءه ، حيث كان يضرب  
الغلال من محصوله الطيب خلال السنين الماضية ، والذي  
أصبح خاويا عديم الجدوى لمدة شهور طويلة ، لم  
يتركوا شيئا في المنزل لطعام أبيه المسن وأطفاله -  
لا شيء لطعام زوجته . وتملكه للحظة خوف شديد ،  
ثم جاءت فكرة أدفاته وأراحته مثل النبيذ :

- انهم لا يستطيعون اخذ الارض منى ، اذا كانت  
فضة لاخذوها . لكن الارض فمازلت املكها !

ولكنه قال لنفسه بأنه يجب أن يفعل شيئا ، فلا  
يمكنهم البقاء هنا فى هذا المنزل الخاوي ويموتون .  
فلقد أكلوا آخر القمح ، ولم يعودوا قادرين على النهوض  
من الفراش . . وكان الناس - على مستوى الريف كله  
يأكلون أى عشب يمكن أن يجدوه على التلال الشتوية،  
وحتى الحيوان لم يعد له وجود فى أى مكان . فقد يسير  
الانسان لمدة أيام دون أن يرى ثورا أو حمارا أو أى نوع  
من الحيوان أو الطير .

كانت بطون الاطفال منتفخة وخاوية ، وأصبحت  
أجسامهم ناتئة بعظام حادة صغيرة مثل عظام الطيور،  
ماعدًا بطونهم . ولم تتمكن الطفلة من الجلوس أبدا ،  
رغم أن سننها كان يسمح بذلك ، فهي دائمة الرقاد ،  
ووجهها المجوف الصغير له شفاه زرقاء مثل شفاه سيدة  
عجوز بلا أسنان ، وعيون سوداء غائرة ، وكان ينظر  
اليها احيانا ، ويهمس برقة :

— بلهاء مسكينة .. بلهاء صغيرة مسكينة .

وحاولت البنت ذات مرة أن تبتسم ابتسامة مقتضبة ، فانفجر في الدموع ، وأخذ يدها الصغيرة في يده ، وشعر بضغطها على أصابعه . أما بالنسبة للأب الكبير فكان حاله افضل الجميع ، لانهم اذا وجدوا أى شىء يؤكل أعطوه له ، حتى لو كان الأطفال ليس لديهم أى شىء يؤكل ، وكان أكثرهم مرحا ، وصرخ في احد الأيام بصوته العجوز :

— كانت هناك أيام أسوأ .. كانت هناك أيام أسوأ .. لقد رأيت رجالا ونساء يأكلون الأطفال !

**فقال وانج لانج فى اشمتران زائد :**

— لن يحدث مثل هذا فى بيتى !

وجاء ذات يوم جاره شينج الذى أصبح اقل من هيكل بشرى ، ووقف أمام باب المنزل وهمس من بين شفطيه الجافتين التسمراوين كالارض :

— لقد اكلنا الحيوانات التى تحرث حقولنا ، والعشب وخشب الاشجار ، فماذا بقى الآن للطعام ؟



**ثم قرب وجهه اكثر وقال :**

— أنهم يأكلون لحم البشر فى القرية !!

**ثم همس قائلاً :**

— ويقولون أن عمك وزوجته يأكلونه . . والا فكيف يعيشون ، وبقوة تكفيهم ليمشون ، والمعروف أنهم لا يملكون شيئاً .

تراجع وانج لانج عن رأس شينج — الشبيهة بالموت — التى تقدم بها وهو يتكلم . وفجأة خاف خوفاً لم يفهمه ، فنهض بسرعة وكأنه يهرب من خطر ،  
**وقال بصوت عال :**

— سنترك هذا المكان ، سنذهب الى الجنوب !

فى كل مكان فى هذه البلاد الشاسعة أناس يموتون ، ولكن مهما كانت السماء غاضبة ، فلن تهلكنا جميعاً مرة واحدة !

خطر له عندئذ فجأة أن ما قاله هو عين الصواب ،  
فنادى بصوت مرتفع على أو — لأن التى كانت ترقد فى فراشها منذ أيام بدون كلام :

- تعالى يا امرأة ، سوف نذهب للجنوب !

كان فى صوته فرحة لم يسمع أحد مثلها منذ  
شهور طويلة . ورفع الأطفال بصرهم ، وخرج الأب  
العجوز من حجرته ، وقامت أو - لان ببطء من فراشها ،  
وجاءت الى باب حجرتهم ، وقالت وهى تستند على  
الباب :

- لا بأس ، على الأقل يستطيع الانسان أن يموت  
وهو سائر .  
ففكر لنفسه :

- وكيف ستسيرين يا مسكينة ؟ !

ثم قال كارها لجاره شينج الذى كان لا يزال  
مستندا على جدار المنزل بجوار الباب :

- اذا كان لديك أى طعام باق ، فاعطنى بحق  
الحب الذى بيننا حفنة لانقاذ حياة أم أولادى !

- لدى فقط حفنة صغيرة من الفول الأحمر الجاف  
مدفونة تحت عتبة الباب .

لقد وضعناه أنا وزوجتي لطفلنا ولنا عند آخر  
ساعة ، حتى نموت وفي معدتنا قليل من الطعام ،  
سأعطيك بعضا منه ، وغدا فلتذهب الى الجنوب ، اذا  
استطعت . أما أنا فسأبقى مع عائلتي ، اننى مسن ،  
وليس مهما إن أعيش أو اموت !

وذهب ثم عاد بعد قليل ومعه حفنة من الفول  
الأحمر فى قطعة قماش قطنى متسخة من تراب الأرض ،  
فهاج الاطفال عند رؤية الطعام ، ولمعت عينا الأب  
العجوز ، ولكن دفعهم وانج لانج بعيدا ، وأخذ الطعام الى  
زوجته ، وهى راقدة ، فأكلت القليل ، فولة فولة .

وأخفى وانج لانج قليلا من الفول فى يده ، ثم  
وضعها فى فمه هو ، وجز عليها حتى أصبحت لينة ،  
ثم وضع شفثيه على شفثى ابنته الطفلة ، ودفع بالطعام  
فى فمها ، وراقب شفثيها تتحركان ، وأحس ان الطعام  
دخل معدته هو !

وفى الصباح التالى ، عندما أشرقت الشمس -  
على منوالها - فى سمائها الزرقاء الساطعة ، فبدى له

أنه مجرد حلم أن يقدر حتى فى التفكير فى ترك منزله مع هؤلاء الأطفال العاجزين ، وزوجته الواهنة وأبيه العجوز . كيف يجرون أجسادهم النحيلة ما يزيد عن مائة ميل ، ومن يدري ان كان يوجد طعام فى الجنوب أم لا ؟

لم يكن لديه نقود ، فأخراها أنفقها منذ مدة . ولكن حتى النقود ليست لها قيمة الآن ، فلا يوجد أى طعام يشتري . لقد أخذ حفنة من الأرض من أحد الحقول وأعطاهها لأطفاله ، وأخذوا يأكلونها مع الماء لعدة أيام ، فأسكنت جوعهم لفترة ، فلقد ملأوا جزءا من بطونهم المنتفخة الخاوية .

وبينما هو جالس عند الباب ، فاقد الأمل ومفكرا فى متعة خيالية للرقاد على فراشه ، والموت ينساب اليه بيسر ، جاء بعض الناس عبر الحقول - متجهين نحوه فاستمر فى جلوسه حتى اقتربوا منه ، فرأى عمه ومعه ثلاثة رجال لا يعرفهم .

**وقال عمه بصوت عال متظاهرا بالابتهاج :**  
- لم أرك منذ أيام كثيرة !

ثم اردف بنفس الصوت العالى وهو يقترب :

- وكيف حالك ؟ وحال ابيك ، أخى الأكبر ، هل هو طيب وبخير ؟

فنظر وانج لانج الى عمه . كان هزيلا حقا ، لكنه لا يموت من الجوع ، كما هو متوقع . شعر وانج لانج ببقايا آخر قوة فى حياته تتجمع فى جسده الواهن وتتحول الى حنق عظيم ضد هذا الرجل ، عمه ، الذى اضاف قائلا :

- لم أفكر الا فيك وفى ابيك الذى هو أخى ، وسأثبت لك الآن - لقد اقترضت من هؤلاء الرجال الطيبين من البلدة قليلا من الطعام ، على وعد أننى بالقوة التى ستعطيها لى ، سأساعدكم فى شراء بعض الارض حول قريرتنا ، ثم فكرت فى أرضك الطيبة أول الكل ، يا ابن أخى . لقد جاءوا معى ليشترؤا أرضك ويمنحوك نقودا .. طعاما .. حياة !!

لم ينهض وانج لانج ، ولم يتعرف على الرجال الذين جاءوا معه ، لكنه رفع رأسه لينظر اليهم فرأى

أنهم فعلا رجال من البلدة مرتدين أردية طويلة من  
الحرير المتسخ ، وأيديهم ناعمة ، وأظافرهم طويلة ،  
وأحس فجأة ببغض مهول نحوهم . ها هم قادمون  
ليأخذوا أرضه منه ! فنظر اليهم نظرة كليله ، وعينيه  
غائرتين في وجهه ناتئ العظام **وقال :**

– لن أبيع أرضي !

وجاء في هذه اللحظة ابنه الصغير يزحف على يديه  
وركبتيه الى طريق الباب ، فلقد عاد الطفل للتحرك  
كما كان يفعل وهو طفل رضيع ، منذ أن أحس بقليل  
من القوة في الأيام الأخيرة ، **فصرخ عمه :**

– هل هذا ولدك ؟

ونظر الجميع الى الطفل وبدأ وانج لانج يبكي  
فجأة في صمت ، وهو الذى لم يبك مطلقا طوال  
هذا الوقت ، وتجمعت الدموع في حبات كبيرة من الألم  
وتدحرجت على وجهه ، **فهمس أخيرا :**

– أى ثمن ستدفعون ؟

أجل فهناك أطفال يجب أن يأكلوا مع الأب  
الكبير ، وتكلم واحد من رجال المدينة :

- أيها المسكين ، سنعطيك أفضل سعر فى أى  
مكان فى هذه الأيام من أجل الولد الذى يموت من  
الجوع . سنعطيك ...

**وتوقف ثم قال بخشونة :**

- سنعطيك ربطة مائة بنس(\*) لكل فدان .

**فضحك وانج لانج بمرارة وقال :**

- لماذا ؟ انكم تاخذون أرضى كهدية ! فانا أدفع  
عشرات أضعاف ذلك عندما أشتري أرضا !

**فقال رجل آخر من المدينة :**

- آه ، ولكن الأمر يختلف ، عندما تشتريها من  
أناس يموتون من الجوع .

---

(\*) عملة نحاسية قليلة القيمة .

فنظر وائج لانج الى الرجال الثلاثة . كان هؤلاء  
الرجال متأكدين من موقفهم ! فقام ناهضاً وصاح  
فيهم :

- لن أبيع أرضي أبدا ! سانبش الحقول قطعة  
قطعة وأطعم الأرض نفسها لأبنائي ، وعند موتهم  
سأدفنهم في الأرض ، وسنموت أنا وزوجتي وأبى على  
الأرض التي أعطينا الميлад !

كان يصيح بعنف ، وذهب غضبه عنه كما تذهب  
الريح فجأة ، ووقف ينتفض ويبكى . ووقف الرجال  
يبتسمون باستخفاف وعمه بينهم ، ولم يتحركوا ، اذ  
اعتبروا هذا حديث انفعال ، فانتظروا حتى يزول غضب  
وانج لانج . وعندئذ جاءت فجأة أو - لان الى الباب  
وتحدثت اليهم بصوتها الثابت ، وكان هذه الأمور  
تحدث كل يوم فقالت :

- اننا بالتاكيد لن نبيع الأرض ، والا عندما نعود  
من الجنوب فلن نجد ما يطعمنا ، لكننا سنبيع المائدة ،  
والسريرين بفراشهما ، والكراسى الأربعة وحتى قدر  
الموقد الحديدي .



كان في صوتها هدوء أقوى من كل غضب  
وانج لانج • وهمس الرجال بين أنفسهم والتفت واحد  
منهم وقال :

— انها أشياء فقيرة ، ولا تستحق الا الحرق •  
قطعتين من الفضة مقابل ذلك • فكروا !

واستدار بعد ما أنهى كلامه بوقاحة ، ولكن  
او — لان أجابت بهدوء :

— انه أقل من ثمن سرير واحد ، ولكن اذا كان  
معكم الفضة ، فاعطوها لي بسرعة ، وخذوا الأغراض •  
وعندما تم كل شيء ، وأصبح المنزل خاويا ،  
قالت او — لان لزوجها :

— دعنا نذهب وفي أيدينا قطعتان من الفضة !  
فاجاب وانج لانج باخلاص :  
— فلنذهب !

نظر عبر الحقول نحو الأشباح الصغيرة للرجال  
وهم يبتعدون وقال لنفسه :

- على الأقل لدى الأرض !

كان ما عليهم سوى أن يغلّقوا الباب ، ويثبتوا القضيب الحديدى ، فهم يرتدون كل ملابسهم ، ووضعت أو - لان فى يد كل طفل طاسة أرز فارغة ، فأخذها الطفلان الصغيران بحماس ، وأمسكا بها كوعد لطعام قادم . وهكذا بدأوا عبور الحقول . . موكب صغير حزين يتحرك ببطء شديد وكأنهم لن يصلوا الى حائط البلدة مطلقا .

وعند وصولهم الى البوابة ، حيث استمتع وانج لانج ببرودتها ذات مرة ، تجمدت أوصاله وهو يجابة حاليالريخ الشتوية التى تندفع بشدة عبر البوابة كاندفاع الماء المثلج بين الصخور . وكانت الأرض من تحت أرجلهم مغطاة بابر من الثلج ، ولم يستطع الأولاد الصغار أن يحرزوا أى تقدم ، وكانت أو - لان تعوقها البنت التى تحملها . . وكافح وانج لانج وهو يشق طريقه مع الرجل العجوز وأجلسه ، ثم عاد ورفع كل طفل وحمله عبر البوابة ،

وعندما انتهى من ذلك استند على الحائط الرطب يتصبب  
عرقا وتلاحقت أنفاسه ، وأسرته تنتظر من حوله .

مروا عبر البلدة ببطء شديد ، واتجهوا الى الجانب  
الجنوبى منها ، والمساء يقترب بظلامه ، ووجدوا جمهرة  
من الناس متجهين الى الجنوب فسأل وانج لانج رجلا  
مر به :

— أين يذهب كل هؤلاء الناس ؟

**فقال الرجل :**

— اننا نموت من الجوع ، وسنذهب لناحق  
بالعربة النارية ، ونركب الى الجنوب . انها تفادر  
من ذاك المنزل هناك . وتوجد عربات لامثالنا مقابل  
ما يقل عن قطعة فضة .

عربة نارية ! لقد سمع وانج لانج الناس فى الأيام  
الماضية تتكلم عن هذه العربات فى صالة شىاى ،  
وهى عبارة عن عربات مربوطة الواحدة تلو الأخرى ،  
ولايجرها انسان ولا حيوان ، انما ماكينة تتنفس نارا  
وبخارا ، فالتفت للمرأة بريية وقال :

- هل نذهب نحن أيضا ونركب العربة النارية  
هذه ؟

وسحبوا الرجل المعجوز والأطفال بعيدا عن  
الحشود والمارة ، نظروا الى بعضهم البعض بقلق ،  
وانهار الأب الكبير على الأرض ورقد الولدان الصغيران  
بجواره بغض النظر عن الأقدام المحيطة بهم في كل  
مكان ، ومازالت أو - لان تحمل الطفلة ، وتدلت رأس  
ابنتها على ذراعها ، ونظرة موت بادية على عينيها  
المفلقتين حتى صرخ وانج لانج ، متناسيا كل شيء  
آخر :

- هل ماتت الصغيرة ؟

فهزت أو - لان براسها :

- كلا ، لكنها ستموت هذه الليلة ونحن جميعا  
سنموت أيضا الا اذا ..

ثم نظرت اليه ، وكأنها لم تستطع أن تقول كلمة  
أخرى ، فلم يجب وانج لانج ، ولكنه فكر في دخيلته ،

إذا ساروا يوما آخر هكذا فسيموتون جميعهم لا محالة ،  
فصرخ :

- انهضوا يا أبنائي ، وساعدوا جدكم على  
النهوض ، سنذهب ونركب العربّة النارية ، ونجلس  
أثناء سفرنا للجنوب !

ولكن لا يدرى أحد ان كانوا سيتحركون أم  
لا . . وما أن صدر صوت كالرعد منبعثا من الظلام  
كصوت حيوان مهول بعينين كبيرتين ، حتى صرخ  
الجميع وركضوا خائفين ، وحملهم الزحام فى هذا  
الارتباك هنا وهناك الى أن دفع بهم عبر باب صغير  
مفتوح بطريقة ما لا يدرون كيف حدثت فى الظلام  
المعتم ، وسط صراخ وعويل عديد من الاصوات .  
ودخلوا فى حجرة تشبه الصندوق . ثم اندفع الشئ  
الذى يركبونه بزئير متواصل ، يشق الظلام وهو  
يحملهم فى جوفه !



## الفصل الخامس

---

دفع وانج لانج قطعتى الفضة لرحلة مائة ميل ،  
وأعاد له المحصل الذى أخذهما منه حفنة من البنسات  
النحاسية • واشترى ببعض منها أربعة أرغفة خبز  
صغيرة وطاسة أرز مسلوق للبن ، واحتفظ  
بكل ما يقدر لشراء حصير لاقامة مأوى عندما يصلون  
الجنوب •

وكان لدى وانج لانج خطة عندما أخذتهم العربية  
النارية الى آخر مدى تذهب اليه • اذ أسند الأب المعجوز  
على جدار رمادى طويل لأحد المنازل وقال للمرأة أن

تراقبهم ، وذهب لشراء الحصر ، فوجد محلا للحصر فى  
طرف المدينة ، فوضع بنساته كشخص يعرف السعر  
وحمل لفة حصره . وعندما رجع الى المكان الذى تركهم  
فيه وجدهم واقفين ينتظرونه ، وصرخ الاولاد فى  
ارتياح لرؤيته ، ولاحظ انهم كانوا مملوئين بالفزع  
فى هذا المكان الغريب . كان الأب الكبير هو الوحيد  
الذى يراقب كل شئ بتمعن ، واندماش وقال  
**لوانج لانج :**

— يمكنك أن ترى جميع اهل الجنوب مكتنزين  
وجلودهم دهنية شاحبة ، انهم يأكلون اللحم كل يوم  
بلا شك .

لم ينظر أحد من المارة الى وانج لانج وعائلته ،  
فهم يأتون ويروحون منشغلين على طول الطريق  
الرئيسى للمدينة ، ولا ينظرون الى الشحاذين من  
حولهم مطلقا . ومن حين لآخر يأتى صف من الحمير  
المحملة بسلال الطوب من أجل بناء المنازل أو باكياس  
الحبوب الكبيرة على ظهورهم . وكانت هناك أكواخ





في مدينة الجنوب الكبيرة •

أخرى مقابل الجدار الذى خلفهم ، ولا أحد كان يعرف ما الذى فى داخل الجدار ، ولا يوجد سبيل للمعرفة ، فهو جدار رمادى طويل ومرتفع جدا • لاحظ وانج لانج الاكواخ ، وبدأ يشكل حصره بمختلف الطرق ، ولكنها بدت جامدة بشعة فيأس ، وقالت أو - لان فجأة :

- أستطيع أن أفعل ذلك • اذكر أننى فعلتها فى طفولتى •

وأجلست البنت على الأرض ، وسحبت الحصر هنا وهناك ، وشكلت سطحا دائريا وصل الى الأرض ، وكان مرتفعا بما يكفى لرجل يجلس تحته ، ووضعت بعضا من الطوب الملقى من حولهم على أطراف الحصر ، وعندما انتهت دخلوا فيها ، وجعلوا حصيرة واحدة كأرضية ، وجلسوا عليها فى حماية فى هذا الكوخ البائس وملأهم شعور بالوفرة فى هذه البلاد الغنية حيث لا يبدو فيها أحد جائع ، وعندما قال وانج لانج :

- فلنذهب للبحث عن المطبخ الشعبى •

نهضوا بانسراح ، وساروا مرة أخرى .

كان كثير من الناس يمشون ، على طول الشارع ،  
حاملين طاسات وجرادل واوانى من الصفيح ؛ انهم  
ذاهبون الى مطابخ الفقراء . ويوجد خلف هذه المباني  
مواقد أكبر مما رأها وانج لانج فى حياته ، ومن  
فوقها اوان حديدية ضخمة ، وعندما رفعوا الاغطية  
الحشبية ظهر الارز الابيض المسلوق اللذيذ ،  
وتتصاعد منه رائحة البخار الحلوة . وكانت أحلى  
رائحة فى العالم بالنسبة لهم ، وتقاتل الناس  
كالوحوش حتى أكل الجميع . ولم يستطع وانج لانج  
أن يفعل شيئاً سوى أن ينتظر من أجل أبيه ومن أجل  
ولديه ، ودفعه الزحام نحو الوعاء الكبير فقدم طاسته  
وعندما مלאها القى لهم ببئس واحد . وكان يحتاج  
لكل قواه ليقف ثابتاً ، ولا يجرفونه قبل أن يتم  
المهمة !

وعادوا الى الشارع ثانية ، ووقفوا يأكلون  
ارزهم ، أكل حتى شبع ، وتبقى القليل فى طاسته  
فقال :

- سآخذ هذا الى بيتنا لآكله فى المساء .

فانبرى رجل بالقرب منه يبدو أنه من حرس المكان ، لانه يرتدى ملابس خاصة زرقاء وحمراء .

### وقال بجدة :

- كلا ، لا يمكنك أن تأخذ شيئا معك الا ما فى معدتك . يجب أن يكون هذا دستورنا ، حيث يوجد أناس غلاظ القلوب يأتون ويشترزون الارز - مقابل بنس ولا يطعمون به انسانا مثلكم - بل يحملونه ليطعموا به خنازيرهم ! .. !

قادهم وانج لانج جميعهم راجعين الى الكوخ الذى اقاموا ، وألقوا بأنفسهم ، وناموا حتى الصباح التالى ، وذلك لانها المرة الأولى منذ الصيف التى اكلوا فيها حتى شبعوا فغلبهم النوم .

واحتاجوا للنقود فى الصباح التالى . فنظروا وانج لانج الى أو - لان فى ريبة عما يجب أن يفعل ،

واجابته او - لان بثبات :

- سنشحن أنا والاولاد وكذلك الاب الكبير .  
فسيحرك رأسه الأشيب قلوب من لا يعطوني ،

ونادت على الولدين وقالت لهما :

- كل واحد منكما يأخذ طاسته ويمسكها  
هكذا ويصيح هكذا ، وأخذت طاستها الفارغة في  
يدها وقدمتها بشكل بارز ، ونادت في بؤس :

- قلب يا سيدى الطيب .. قلب يا سيدتى  
الطيبة ! يا صاحب القلب الرحيم .. افعل الخير  
لحياتك فى السماء ! العملة النحاسيه التى تلقيها  
ستطعم طفلا يموت !

ونظر اليها الولدان فى اندهاش كذلك وانج  
لانج .. أين تعلمت أن تصيح هكذا ؟

كم من الأشياء التى لا يعلمها عن هذه المرأة !  
واجابت نظرتة قائلة :

- صحت هكذا ، عندما كنت طفلة ، وكانوا يطعموني . كانت سنة مثل هذه عندما باعوني كعبدة .

أما بالنسبة لوانج لانج ، فذهب في الشوارع يسأل هنا وهناك حتى وجد مكانا لتأجير الريكشا (\*). فذهب اليه واستأجر واحدة مقابل قطعة فضة في اليوم على أن تدفع في المساء ، وأخذ يجرها في الشوارع . كان وهو يجز هذه العرببة الخشبية على عجلتيها الاثنتين من خلفه مثل ثور صعب المراس ربطوه لأول مرة بالمحراث وبالكاديسير ، ولكنه يجب أن يركض اذا أراد أن يكسب عيشه ، وكثير من الرجال يركضون مثله ، وهم يجرون أشخاصا في هذه العربات الصغيرة في كل مكان عبر شوارع المدينة .

---

(\*) عربة صغيرة بعجلتين يركبها الراكب ويجرها شخص راكبا بها .

وفى المساء عندما أحصى كل نقوده فى يده وجد  
أنه حصل على بنس واحد فوق تكلفه تأجير الريكشا ،  
وعاد الى كوخه فى مرارة كبيرة ، قائلا لنفسه لقد  
حصلت على بنس نحاسى واحد فقط ليوم كامل فى  
عمل أقسى من عمل الحقل .

كانوا كالأجانب فى هذه المدينة الجنوبية ،  
وذاث مرة سمع شابا يلقي بخطبة الى الجمهور قائلا :

- يجب على الصين أن تقوم بثورة وتهاجم  
الأجانب المكروهين !

فخاف وانج لانج ، وانسل بعيدا شاعرا أنه هو  
الأجنبى الذى تكلم هذا الشاب ضده بشئ هذا  
الغضب !

وفى أحد الايام علم بوجود أجانب آخرين من  
نوع آخر فى هذه المدينة ذلك عندما كان يبحث عن  
ركاب فى شارع متاجر الحرير . فالتقى بشخص  
منهم فجأة ، مخلوق لم ير مثله من قبل ، وليس لديه

أى فكرة اذا كان ذكرا أم أنثى ، لكنه كان شخصا طويلا فى رداء أسود ويلف حول رقبتة جلد نوع من الحيوان . وأشار الشخص بحدة أثناء مروره ليدعه يركب ، وقال له انه يريد الذهاب الى شارع الجسور . فبدأ يركض وهو لا يكاد يعرف ماذا يفعل ، ونادى رجلا آخر يجز عربة مثله :

— انظر الى ذلك الراكب . ما هذا الذى أجره ؟

**فصاح الرجل مجيبا :**

— أجنبية . . أنثى من أمريكا . . انك غنى !

لكن وانج لانج ركض بأقصى سرعة ممكنة خوفا من هذا المخلوق الغريب الذى خلفه ، وعندما وصل الى شارع الجسور كان قد أنهكت قواه وتصبب عرقا ، وخطت هذه الأنثى هابطة ، وقالت :

— لا داعى أن تركض بهذه الشدة !

وتركته واضعة فى يده قطعتين من الفضة وهو ضعف السعر المعتاد . . وعندما عاد الى الكوخ فى المساء أخبر أو — لان ، فقالت له :



- لقد رأيتهم . اننى أتسول منهم دائما لانهم  
الوحيدين الذين يلقون بالفضة فى طاستى  
لا بالنحاس .

ولم يشعر وانج لانج ولا زوجته ان الأجنبى كان  
يلقى بالفضة بسبب أية رحمة فى القلب ، ولكن لانه  
لايعرف ان النحاس أفضل من الفضة عند القائه  
للسحاذين ، ومع ذلك تعلم وانج لانج من هذه التجربة  
بأنه ينتهى لجنسبه الذى له شعر أسود وعيون  
سوداء .

وبدا وانج لانج يخرج كل صباح بعد شروق  
النهار بقليل مع عائلته ويشكلون بطاساتهم مجموعة  
صغيرة فى موكب طويل من الناس ، فى ملابس رقيقة  
لمواجهة هواء النهر الرطب ويسيرون محنيين ضد هواء  
الصباح البارد نحو المطابخ الشعبية حيث يستطيع  
الشخص أن يشتري طاسة أرز مقابل بنس واحد .  
وبالرغم من أن وانج لانج يركض بعربة الريكشا ،  
وبالرغم فى أن او - لان تتسول ، الا انهم لم يستطيعوا

أن يكسبوا ما يكفى لشراء الأرز ليقوموا بطهيهِ في  
كوخهم ، وقال وانج لانج لنفسه :

— يجب أن نعود الى الأرض .

وبين ثروات هذه المدينة عاش وانج لانج ، ولكنه  
كان يعيش في الفقر الذي كان القاعدة التي ترسو  
عليها المدينة كلها ، بالرغم من تدفق الطعام في  
الأسواق ، وبالرغم من شوارع متاجر الحرير التي  
ترفرف فوقها رايات حريرية سوداء وحمراء وبرتقالية  
للإعلان عن بضائنها ، وبالرغم من الأغنياء الذين  
يلبسون الملابس الحريرية ، وأيديهم التي كالزهور  
لنعومتها وكسلها . . . ففي هذا الجزء من المدينة الذي  
يعيش فيه وانج لانج لا يوجد طعام كاف لسد فم الجوع  
المفترس ، ولا توجد ملابس كافية لتغطية العظام .  
والناس في أكواخهم الصغيرة يحيكون الملابس القديمة  
مع بعضها لعمل ملابس للأطفال الذين ينجبونهم بشكل  
دائم . ويسرقون حفلات من الأرز من أسواق الغلال ،  
ويلتقطون العشب من على جوانب التلال . وفي وقت

المحصول يتتبعون الفلاحين مثل الطير ، وعيونهم  
سريعة ترى كل حبة تسقط ، ويموت الأطفال في هذه  
الأكواخ جميعها يولدون ويموتون حتى أن الأم والأب  
يعرفون بالكاد كم من الأطفال يعيشون .

ويسير هؤلاء الرجال والنساء والأطفال في  
الأسواق وبين متاجر الملابس ، ويتجولون حول الريف  
القريب من المدينة ، ويعمل الرجال هنا وهناك من  
أجل بنسات قليلة ، وتسرق النساء ، ويتسول  
الأطفال .. وكان وانج لانج وزوجته وأولادهما من  
بينهم .

قال وانج لانج في سريره سنعود ، طالما الأرض  
موجودة ! وقال بغشونة لزوجته :

— إذا كان عندي أى شيء أبيع ، كنت بعت  
واعود الى الأرض . ولولا الرجل الكبير لسرنا ، لكن -  
كيف له وللطفلة الصغيرة أن يمشيا مائة ميل ؟

كانت أو - لان تفصل طاسات الارز بقليل من  
الماء ، ورفعت بصرها اليه من الارض حيث تجلس ،  
واجابت ببطء :

- لا يوجد شيء للبيع سوى البنت ؟!

- كلا .. لن أبيع الطفلة !

فاجابت ببطء :

- لقد تم بيعي ، واشتراني منزل كبير ، حتى  
يستطيع والدي الرجوع الى بيتهما .

- وهل تبيعين الطفلة ؟!

- ان كان على أنا ، فقتلها أجون من بيعها ..  
لقد كنت عبدة حتى للعبيد الآخرين ! ولكنني أبيعها  
من أجلك .. لتعيدك الى الارض ..

- مطلقا .. حتى لو قضيت حياتي في هذا  
المكان !

ولكن عندما خرج ثانية أغرته الفكرة ضد ارادته

ونظر الى البنت الصغيرة ، ازدادت مرحا كعادتها  
وابتسمت ، وفكر فى داخله :

- كيف أفعل ذلك وهى ترقد فى ذراعى  
وتبتسم هكذا ؟!

**ثم فكر ثانية فى أرضه وصرخ :**

- لن أراها ثانية ؟ ورغم كل هذا العمل وهذا  
التسول لا يوجد ما يكفى أكثر من طعام اليوم ؟

**فاجاب عندئذ صوت عميق فى الظلام :**

- لست وحدك .. يوجد مئات المئات مثلك  
فى المدينة !

وظهر رجل يدخن غليوناً ، انه أب لأسرة بالكوخ  
المجاور .

**فساله وانج لانج بمرارة :**

- حسن ، وهل سيستمر هذا الى الأبد ؟

**لقال الرجل بعد أن جلس على الأرض :**

- كلا ، ليس الى الأبد .. هناك طرق عندما يكون الأغنياء أغنياء جدا ، وهناك طرق عندما يكون الفقراء فقراء جدا . لقد بعنا بنتين فى الشتاء الماضى ، وسنبيع هذا الشتاء أيضا بنتا أخرى ، فالبيع أفضل من القتل رغم وجود من يفضل قتلهن قبل أن يتنفسن .. هذه إحدى الطرق عندما يكون الفقراء فقراء جدا . وهناك طريقة عندما يكون الأغنياء أغنياء جدا ، وإذا لم أكن مخطئا فهى قادمة قريبا .

وأشار بغليونه للجدار الذى خلفه ثم أردف قائلا :

- هل شاهدت ما بداخل هذا الجدار ؟ لن تصدق اذا أخبرتك كيف تأتى النقود وتدخل هذا المنزل .. هناك طريقة عندما تكون الناس أغنياء جدا .. حسن .. عد لعملك !

وذهب فى جوف الليل .

وجاء الربيع مرة أخرى .. وأصبح من الممكن لهؤلاء الذين تسولوا أن يذهبوا الى التلال وأراضى

المقابر ، ليلتقطوا النباتات الخضراء الصغيرة • وتخرج كل يوم من الأكواخ زرافات من النساء والأطفال للبحث في الريف والطرق عن الطعام الذي يستطيعون الحصول عليه بدون تسول وبدون مال • وتذهب أو - لان كل يوم مع هذا الجمهور ، مصطحبة ولديها الاثنين •

أما الرجال فعليهم أن يعملوا ، ولقد عمل وانج لانج وكانت الأيام الدافئة الطويلة ، وشروق الشمس مع الأمطار الفجائية قد ملأت كل شخص بالرغبات والهواجس • • ومع قدوم الربيع يزداد الكلام • • فتكلم أحد الشبان بصوت عال وقام بتوزيع المنشورات هنا وهناك بين الجموع التي تتجمع حول أى شيء جديد أو غريب فى الشارع • كانت المنشورات تحمل صورة للدم والموت ، وكان الرجل الميت مثل وانج لانج نفسه ، مواطن عادى أصفر ، نحيف ، له شعر أسود ، وعين سوداء ، ويرتدى ملابس زرقاء ممزقة • ويقف عند جثة الميت شخص ممتلئ ضخمة ، ويقطع من جثة الميت بالسكين الطويلة

التي يمسك بها • كان منظرا مفزعا ونظر اليه  
وانج لانج بصعوبة •

### وقام مدرس شاب وصاح :

- الرجل الميت هو أنت ، والرجل الممتلئ الذي  
يقطع فيك هو الغنى ، وهو يفعل ذلك حتى بعد موتك •  
أنت فقير والسبب أن الغنى يستولى على كل شيء •

كان وانج لانج يعتقد دائما انه فقير لأن السماء  
لم ترسل المطر في موعده المناسب من السنة ،  
وكان لا يعتبر نفسه فقيرا عندما يأتى المطر تسطع  
الشمس حتى تنبت الحبة ، ويحمل القمح سنابله •  
لذلك أخذ ينصت باهتمام ليسمع ما على الأغنياء أن  
يفعلوا ازاء ذلك • وفى النهاية بعدما تكلم الشاب  
كثيرا ، ولم يقل شيئا عن ذلك ، تجاسر وانج لانج  
وسال :

- سيدي ، الا توجد طريقة يمكن أن يجلب بها  
الأغنياء المطر حتى أستطيع العمل فى الارض ؟



**وعند ذلك التفت الشاب اليه باحتقار واجاب :**

- يالك من غبى ، يامن لازلت تحتفظ بضفيرة شعرك من خلفك ! لا أحد يستطيع ان يجعل السماء تمطر اذا لم تكن ستمطر ، ولكن مادخل ذلك بنا ؟ اذا شاركنا الأغنياء فيما لديهم فلا يهم أحد سقوط المطر من عدمه ، وسيكون لدينا جميعا المال والطعام .

وهتفت هذه الجماهير هتافات كثيرة ، ولكن وانج لانج تركهم وولى . ان المال والطعام يؤكل ويتلاشى ، لكن اذا لم تسطع الشمس أو ينزل المطر فى وقته لعاد الجوع ثانية .

ومع ذلك أخذ أوراق المنشورات التى أعطاها له الشاب ، لأنه تذكر أن أو - لان ليس لديها أوراق كافية لتفرشها فى أحذيتهم ، وأعطاها لها عندما رجع لكوخه قائلا :

- اليك بشىء لتفرشى به الأحذية .

ثم ذهب الى عمله ، ولكن الكثيرين من سكان

الأكواخ سمعوا ما قاله الشاب بشغف ، وعرفوا أن  
خلف ذلك الجدار يعيش رجل غنى ، وليس بينهم  
وبين ثرواته الا هذا الجدار المشيد من الطوب ، والذي  
يمكن أن يسقط بضربات قليلة من عمود متين مثل  
الذى يحملون عليه أثقالهم فوق اكتافهم كل يوم .

ورأى وانج لانج عندئذ شيئا جديدا فى هذه  
المدينة . لقد رأى فرقة صغيرة من الجنود المسلحين  
يقبضون على شخص ، وعندما اعترض لوح الجنود  
فى وجهه بالسكاكين ، وأثناء مراقبته تم القبض على  
آخرين ، ولاحظ أن جميعهم من عامة الناس الذين  
يعملون بأيديهم ، وواحد منهم كان يعيش فى كوخ  
قريب منه مقابل الجدار . قلب خوف جديد داخله ،  
هل يسحبونه الى ميدان القتال ؟ ويترك أسرته لتموت  
من الجوع ! وهو أيضا قد يموت فى ميدان القتال ..  
ولا يستطيع أن يرى أرضه ثانية ، فقال لزوجته :

— حاليا ، أرى ما يغرينى ببيع البنت الصغيرة ،  
ونذهب للشمال عائدين الى الأرض ! لكنها بعدما  
أنصتت وفكرت قالت بطريقتها الثابتة :

١ - انتظر بضعة ايام ، هناك كلام غريب يدور !

ولم يعد يخرج في النهار ، وبدأ ، مقابل نصف ما كان يكسبه من قبل ، يجبر طول الليل عربية محملة بالصناديق ومعه مجموعة رجال ، كل يجبر عربته . وكانت الصناديق معبأة بالحرائر والأقطان والتبغ ، كما يوجد أيضا عبوات كبيرة من الزيت والنبه . وأمسى يجبر عبر الشوارع المظلمة طول الليل ويتصيب جسمه عرقا ، وتنزلق أقدامه الحافية على الأحجار المبتلة ، لكنه كان ينام أثناء النهار في أمان في ركن الكوخ خلف كومة قش أثناء قيام الجنود بالبحث والتفتيش في الشوارع .

كان الهمس يدور في كل مكان بقدم العدو عن قريب . وكل من يملك شيئا كان خائفا . لكن وانج لانج لم يكن كذلك ، ولا أى أحد من الذين يعيشون في الاكواخ كان يخاف من ذلك ، فهم لا يعرفون من هو هذا العدو ، ولا هم يملكون ما يخافون عليه !

وعندئذ أغلقت المطابخ الشعبية أبوابها ، وكانهم لم يكتفوا بما حدث لهم من كوارث . وأصبح لا يوجد طعام ولا عمل ، كما أن المارة في الشوارع ليسوا ممن يمكن التسول منهم . فأخذ وانج لانج طفلته بين ذراعيه ، وجلس معها في الكوخ ، ينظر اليها ويقول برقة :

- أيتها البلهاء الصغيرة ! هل تحبين أن تذهبي الى منزل كبير يوجد فيه الطعام والشراب وتحصلين فيه على ملابس كامل لجسمك !؟

ابتسعت الطفلة ، غير فاهمة أى شئ مما قاله ، ووضعت يدها الصغيرة لتتلمس في اندهاش عيونه المضطربة . عندئذ ضم وانج لانج الطفلة اليه ، وقال لها برقة مرة ثلثي الأخرى :

- أوه ، أيتها البلهاء الصغيرة .. أوه ، أيتها البلهاء الصغيرة المسكينة ..

ولكنه كان يفكر بصوت عال :

- لا يوجد طريق آخر .. لا يوجد طريق آخر .. !

عندئذ سمع فجأة صوتا يشبه تصدع السماء ، فسقط كل واحد منهم الى الأرض ، مخفيا وجهه ، وصرخ الصبيان من الخوف . لكن او - لان رفعت رأسها بعدما عاد السكون وقالت :

- والآن ما قد سمعت عنه قد حدث ! لقد حطم العدو أبواب المدينة !

وقبل أن يستطيع أحد اجابتها غطي الهتاف المدينة .. هتاف مرتفع لأصوات بشرية ، ضعيف في البداية ، مثل ريح العاصفة المقترب ، ثم أخذ يتصاعد الى أعلى وأعلى حتى ملأ الشوارع ، ثم وصل لسمعهم صوت باب كبير يفتح عنوة ، وفجأة دفع رجل رأسه في فتحة الكوخ .. انه الرجل الذي تكلم ذات مرة مع وانج لانج وهو يسخن غليونه ، وصرخ فيهم :

- هل لازلتم تجلسون هنا ؟ لقد أتت الساعة .. بوابات الرجل الغني مفتوحة لنا ! ...

وفى الحال انسلت أو - لان من تحت ذراع  
الرجل واختفت وهو لا يزال يتكلم .

نهض وانج لانج فى تراخ .. وأمام البوابات  
الحديدية الكبيرة لمنزل الرجل الفنى تقدم جمهور  
هاتف من عامة الشعب ، وكانوا مصطفين سويا باحكام  
حتى أنهم كانوا يتحركون ككتلة واحدة .. وهكذا  
جرفوه عبر البوابات الكبيرة .. وكانت الضوضاء  
تشبه الزئير المتواصل لوحش غاضبة .

وجرفوه من مساحة الى أخرى . وكان الجمهور  
خبيرا بمنازل الأغنياء فلقد انطلقوا مارين بالساحات  
الأمامية حيث يعيش الخدم والعبيد ، وحيث المطابع  
تعمل دون توقف ، ثم يتوجهون الى الساحات  
الداخلية ، حيث السادة والسيدات بسرهم الناعمة  
وصناديق ملابسهم وطنافسهم وأثاثاتهم المزخرفة ..  
واستولى الجمهور على كل هذه الكنوز ، لكن  
وانج لانج لم يأخذ شيئا فى هذا الارتباك .. وهو  
الذى لم يأخذ طوال حياته ما يخص الآخرين ،

ولا يمكنه أن يفعل ذلك ، واخذ يقاوم هنا وهناك حتى  
انفلت أخيرا الى طرف الزحام .

فوجد نفسه فى الساحة البعيدة حيث تعيش  
سيدات الأغنياء ، وكانت البوابة الخلفية مفتوحة ،  
وهى التى يحتفظ بها الأغنياء ليستخدمونها فى هروبهم  
فى مثل هذه الأوقات ، ولذلك كانت تسمى بوابة  
السلام . . لاشك أنهم هربوا جميعهم من هذه البوابة  
فى نفس اليوم . . لكن أحدهم فشل فى الهرب . .  
ربما بسبب حجمه . . أو ربما بسبب ثقل ثوبه ،  
وقادله فجأة وانج لانج وجها لوجه فى حجرة داخلية  
خاوية . . كان رجلا ضخما بدينا ، وكانت عيناه  
تبدوان ، فى وجهه المكتنز ، صغيرتين كعينى خنزير .

وعندما شاهد وانج لانج أصيب برعشة من  
رأسه الى أخمص قدميه وصرخ مولولا وكان لحمه  
يقطع بسكين :

— انقذ حياة ! . . انقذ حياة ! . . لا تقتلنى ! . .  
لدى نقود لك . . نقود كثيرة !

كانت كلمة « النقود » هي التي دخلت الى عقل  
وانج لانج ، وجعلته صافيا ٠٠ نقود ! أجل ، انه  
يحتاج ذلك ! فصرخ فجأة في صوت أجش :

- اعطني النقود اذن !

فقدم الرجل البدين يده مملوءة بالذهب وفرد  
وانج لانج طرف ثوبه ليتلقاه ، فصاح :

- اعطني أكثر !

فامتدت يد الرجل ثانية مملوءة بالذهب وهو  
يصيح :

- لم يبق شيء الآن ، ولا أملك الا حبيباتي  
البائسة ، وجرت الدموع مثل الزيت على وجهه  
البدين .

وفجأة كرمه وانج لانج وهو يراه أمامه يرتعش  
ويصيح ، كما لم يكره شيئا في حياته وصرخ :

- أغرب عن وجهي والا سأقتلك كما أقتل دودة  
سمينة !



وانج لانج رقيق القلب ، الذى لم يقدر على أن  
يذبح ثوره صرخ بهذا ! .. وتركه الرجل وفر  
راكضا . وخرج وانج لانج من بوابة السلام المفتوحة ،  
وضم اليه الذهب الذى كان لا يزال يحتفظ به ،  
جسد الرجل السمين . واخذ يصيح فى داخله مرات  
ومرات :

- سنعود الى الأرض .. غدا ، سنعود الى  
الأرض !!



## الفصل السادس

---

وقبل مرور أيام قليلة ، بدأ لوانج لانج وكأنه لم يبتعد عن أرضه مطلقا ، وفى الحقيقة فهو لم يبتعد عنها بقلبه . . . واشترى من الجنوب بثورا جيدة بثلاث قطع من الذهب ، كما اشترى ، قيل أن يصل لأرضه ، ثورا بخمس قطع ذهبية .

ووجدوا عند وصولهم للمنزل الباب مغلوعا ، والسطح منزوعا ، ولم يتبق الا أعمدة السطح عارية والجدران الترابية . وجاء جاره شينج يدب من منزله ليرى وانج لانج وقال :

- عاشت سبابة من اللصوص في منزلك  
الشتاء بطوله نهبو سكان القرية والبلدة ، ويقال  
ان عمك يعرف عنهم أكثر مما يجب لرجل شريف  
لكن من يعرف الحقيقة هذه الايام ؟ لا أجرو أن أنهم  
أي شخص .

لقد أصبح شينج لاشيء سوى شبح التصق  
جلده بعظامه بشكل شديد كما خف شعرة وشاب ،  
رغم أنه لم يصل الى الخامسة والأربعين من عمره بعد .  
ونظر واتج لانج اليه لفترة ، ثم قال فجأة في شفقة :  
لقد عشت أسوأ منا . ماذا أكلت ؟

### فقال الرجل في همس :

- قل ماذا لم أكله ؟ .. الزبالة في الشوارع  
مثل الكلب ، وتسوينا في البلدة وأكلنا الكلاب  
الميتة . وعملت امرأتى ذات مرة قبل أن تموت قليلا  
من حساء السمك .. لم أجرو أن اسألها كيف  
أنت به ؟ .. وعندما ماتت أعطيت البنت لجندى ..  
لم أستطع أن أراها تموت من الجوع أيضا .

وسكت ثم قال بعد برهة :

- لو كان لدى قليل من البذور لكنت بذرتها  
مرة أخرى ، لكن لم تكن لدى بذور أو أى شئ آخر

**فصرخ وانج لانج بخشونة :**

- تعال هنا !

وطلب من الرجل أن يمسك بردائه الممزق  
وسكب فيه بعض البذور التى اشتراها من الجنوب  
**وقال :**

- غدا سوف آتى وأحرث لك أرضك مع ثورى  
الطيب !

**فبكى شينج فجأة وصاح وانج لانج كما لو كان  
غاضبا :**

- هل تعتقد انى نسيت حفنة الحبوب التى  
اعطيتها لى ؟!

لكن لم يستطع شينج الاجابة ، وذهب وهو  
يبكى ، ويبكى بلا توقف ..

كانت فرحة لوانج لانج كبيرة لأنه لم يجد عمه  
في القرية . أين كان إذن ؟ لا أحد يدري . قال البعض  
انه رحل الى المدينة ، وقال البعض بأنه يعيش مع  
زوجته وابنه في مقاطعة أخرى بعيدة .

بدأ وانج لانج العمل في الأرض فوراً . وكان  
يجب أن يأخذ رغيف خبزه وثوما الى الحقول ،  
**ويقف هناك يأكله ويفكر :**

- ساضع الفول هنا ، وشتلات الأرز الصغيرة  
هنا ..

وإذا شعر بالتعب كان يرقد على الأرض وينام  
فيتخلل لحمه دفء الأرض الطيبة ..

ولم تكن أو - لان بلا فائدة في المنزل ، بل  
قامت بربط الحصير بشدة الى أعمدة السطح ،  
وأخذت التراب من الحقول وخلطته بالماء ورممت  
جدران المنزل ، وأعادت بناء الفرن ، وردمت الحفرة  
التي كونتها الأمطار في الأرضية .

وفكر وانج لانج فى الالهين الصغيرين المقامين  
فى المعبد ، فذهب وتفحصهما .. كانا فى حالة مزرية ،  
فتعرى جسدهما من الصلصال الذى التصق  
بملابسهما الورقية المعزقة . اذ لم يهتم أحد بهما فى  
تلك السنة المروعة . ونظر وانج لانج اليهما بضراوة ،  
وقال بصوت مرتفع كما يكلم الشخص طفلا بعد  
العقاب :

- وهكذا حال الآلهة التى تأتى بالضرر للانسان!  
ولكن عندما أصبح المنزل مرتباً ثانية ، ونما  
الأرز الصغير ، اشرابت رؤوس القول من قربته  
همس وانج لانج كارها :

- يجب أن أحرق قليلا من البخور أمام هذين  
الالهين ، على كل حال فان لهما أثرا سحريا على  
الأرض .

وفى احدى الليالى بينما كان وانج لانج راقدا مع  
زوجته تحسس عليها كتلة جامدة فى حجم قبضة  
الانسان المغلقة . فقال لها :

- ما هذا الشيء الذى تضعينه على جسدك ؟

ووضع يده يتحسس ثانيا فوجد لفافة من القماش بها شيء جامد ولكنه تحرك مع لمسته .  
فأخذت اللفافة من عنقها وأعطاها له قائلة :  
- حسن ، أنظر اليه أذن اذا أردت .

فمزق لفافة القماش فسقطت على يده فجأة مجموعة من الجواهر لم يحلم مطلقا أن تكون متجمعة سويا . . جواهر حمراء ، وجواهر ذهبية كالقمح ، وخضراء كالأوراق الصغيرة فى الربيع ، وصافية كالماء . . لم يكن وانج لانج يعرف اسماءها . ولكنه عرف وهو قابض عليها فى يده السمراء الجامدة أنه يفيض على ثروة طائلة ، فتوقف بلا كلام ونظر هو والمرأة سويا الى ما فى قبضته ، ثم همس اليها فى النهاية :

- من أين . . من أين . . ؟ !

فردت هامسة برقة مشابهة :



- من منزل الرجل الغنى ، شاهدت قالب طوب  
مفكوكا فى الجدار ، فذهبت اليه بهدوء حتى لا يرانى  
أحد .

فهمس ثانية ، همسة مملوءة بالاعجاب :

- وكيف عرفت !؟

فاجابت :

- هل تظن اننى لم أعش فى منزل أغنياء ؟  
- الأغنياء دائما خائفون . رأيت ذات مرة فى سنة سيئة  
الطالع لصوصا يندفعون عبر بوابات المنزل الكبير ،  
فركض العبيد ، والسيدة الجليلة نفسها هنا وهناك ،  
فكان لكل شخص كنز قد خباء فى مكان سرى لذلك  
فانا اعرف معنى قالب الطوب المفكوك .

وصمتا ثانية وهما ينظران الى الجواهر ..

ثم تراجع وانج لانج بعد فترة طويلة وقال بحزم :

- لانستطيع ان نحفظ بكنز كهذا ، يجب ان  
يباع ويوضح فى امان .. فى الارض ! .. فليس

هناك مكان آخر أكثر أمنا .. وإذا عرف بهذا أى شخص ، فقد نموت فى اليوم التالى وقد يسرق اللصوص هذه الجواهر .. يجب أن توضع فى الأرض اليوم ، والا فلن أنام الليلة !

- هل ستبيعها جميعا ؟!

- لم لا ؟ ولماذا نمتلك جواهر مثل هذه فى منزل نراى ؟

فقالت بحزن عاجز ، وكأنها لا تتوقع شيئا :

- أتمنى أن احتفظ بائنتين لنفسى !

وحرك ذلك شعوره كما تحركه رغبة طفل من أطفاله فى لعبة أو قطعة حلوى . وصرخ فى اندهاش :

- حسن ، اذن !

وأردفت قائلة بتواضع :

- لو أمكننى أن آخذ اثنتين ، فقط اثنتين

صغيرتين .. اللؤلؤتين البيضاوتين الصغيرتين .  
حتى ...

فكر بانهاش :

- لؤلؤ !

- سأحتفظ بهما - لن أرتديهما ، احتفظ بهما فقط !

فنظر وانج لانج للحظة فى قلب هذه المخلوقة القبية المخلصة ، التى استغلت طوال حياتها دون مقابل ، والتى رأت فى المنزل الكبير آخرين من الأثرياء يتحلون بالجواهر ولم تلمسها بيدها مطلقا حتى ولو لمرة واحدة . وازدفت قائلة ، وكأنها تفكر :

- حتى يمكننى أن أمسك بهما أحيانا فى يدي !

لقد تحرك شعوره من شئ لم يفهمه ، ففض الجواهر وناولها لها فى صمت . وبحث بين الألوان الساطعة ، ويدها الداكنة المتحجرة تقلب فى الأحجار برقة مرهفة حتى عثرت على اللؤلؤتين البيضاوين الناعميتين ، فأخذتهما ، ثم ربطت الباقي ثانية ، واعادتهم اليه ، وأخذت اللؤلؤتين ومزقت قطعة من

طرف رداثها ، ثم لفتها فيها ووضعتها في رداثها  
وارتاح !

أما بالنسبة للجواهر الأخرى ، فلقد قرر أن  
يذهب الى المنزل الكبير ، ويرى اذا كان لديهم أرض  
أخرى يشريها .

وهكذا ذهب الى المنزل الكبير . لم يكن هناك  
حارس يقف عند البوابة ، وعوضا عن ذلك كانت  
البوابة مغلقة . فطرق وانج لانج عليها ، ومع ذلك  
لم يأت أحد ، لكنه سمع في النهاية خطوات بطيئة  
تقترب منه ، ثم سماع انسحاب المزلاج الحديدي  
وانفتحت البوابة في صرير ، وجاء صوت هامس :  
- من هنا ؟

فاجاب وانج لانج بصوت مرتفع رعم اندهاسه :  
- أنه أنا ، وانج لانج .  
- والآن ، من الملعون وانج لانج :

لقد تبين وانج لانج من نوعية اللعنة أنه السيد  
الكبير نفسه ، لانها هذه لعنته التي يلعن بها الخدم

والعبيد كعادته ، فاجاب وانج لانج بتواضع اكثر  
من قبل :

- سيدى وكبرى ، لقد آتيت فى عمل بسيط .  
لا لأزعج فخامتكم ولكن لأتكلم فى شغل بسيط مع  
الوكيل الذى يخدم فخامتكم .

**فاجابه السيد الكبير دون أن يزيد من فتح  
البوابة :**

- عليه اللعنة ، لقد تركنى هذا الكلب منذ  
شهور طويلة ، انه ليس هنا .

لم يعد يعرف وانج لانج ماذا يفعل بعد هذه  
الاجابة . كان من المستحيل أن يتحدث بشكل مباشر  
مع السيد الكبير عن شراء الأرض من غير وسيط ،  
**فقال مترددا :**

- لقد جئت بخصوص بعض النقود .

فأغلق السيد الكبير البوابة فى الحال ، وقال  
بصوت أعلى عما تحدث به من قبل

- لا توجد نقود بالمنزل . هذا الوكيل اللص  
أخذ كل ما لدى ، ولا يمكن دفع أية ديون .

### فصاح وانج لانج بسرعة :

- كلا . . كلا ، لقد جئت لأدفع لا لأجمع ديننا !  
عندئذ صدرت صرخة من صوت لم يسمعه  
وانج لانج بعد . ودفعت امرأة بوجهها فجأة من  
البوابة ، وقالت :

- ان هذا شيء لم أسمعه منذ فترة طويلة !  
نعال ! وفتحت البوابة بما فيه الكفاية ليدخل ، ثم  
أغلقتها من خلفه ، بينما وقف هو مندهشا في  
الساحة . ووقف السيد الكبير يسعل في رداء حريري  
رمادي قذر . لم يكن مغتسلا ولا حالقا ، وارتعشت  
يده وهو يمص شفثيه العجوزتين . لقد خاف  
وانج لانج طول حياته من الناس الأثرياء الذين  
يعيشون في المنزل الكبير ، ومن المستحيل أن يكون  
السيد الكبير الذي سمع عنه الكثير هو هذا الشبح  
العجوز .

وكانت المرأة ذات وجه حاد جامد يشبه الطائر  
في جماله ، عيناها سوداوان ، وشفتاها حمراوان ،  
وشعرها فاحم يلمع . ويمكن من كلامها ملاحظة أنها  
ليست من أسرة السيد ، بل عبدة .

ابتعد السيد الكبير ساعلا وهو يمشى ، أما  
وانج لانج الذى ترك وحيدا مع هذه المرأة ، فلم يعرف  
ماذا يقول أو ماذا يفعل ، وكان مندمسا للسكون  
المائل فى كل مكان، ونظر الى الساحة التالية ، فرأى  
أكوام الزبالاة والقاذورات والقش مبعثرة ، وفروع  
شجر وزهور ميتة وكان أحدا لم يكنس هذا المكان  
منذ مدة طويلة . . ثم قالت السيدة بعلة كبيرة :

- والآن أيها الرأس الحشبي ! ، ما هو  
موضوعك ؟ اذا كان معك مال ، فدعنى أراه .

**فاعترض وانج لانج بلطف :**

- ولكنى لا أستطيع أن أتكلم مع امرأة .

**فصاحت فيه فجأة :**

- ولم لا ؟ ألم تسمع يا أحق بأنه لا يوجد  
أحد هنا ؟

: فنظر إليها وانج لانج غير مصدق ، فصاحت  
المرأة فيه ثانية :

- أنا والسيد الكبير فقط .. وليس هناك  
شخص آخر !

**وسال وانج لانج مندهشا :**

- أين اذن بقية أهل البيت ؟

- حسن ، السيدة الكبيرة ماتت . ألم تسمع  
فى البلدة كيف اكتسح اللصوص المنزل ، وحملوا  
معهم ما أرادوه من عبيد وتحف ؟ لقد علقوا السيد  
الكبير من ابهاميه ، وضربوه . وربطوا السيدة الكبيرة ،  
وفر الجميع ، ولكننى بقيت مختبئة ، وعندما خرجت  
كانوا قد ذهبوا ، ولقد ماتت السيدة الكبيرة على  
كرسيها من شدة الفزع . وكان جسدها نثنا من  
الافيون الذى تدخنه ، ولم تستطع التغلب على خوفها .



- والخدم والعبيد ١٩

فاجابت بلا اكتراث :

- اوه هؤلاء ، لقد غادروا من قبل ، لانه  
لم يكن يوجد طعام ولا مال عند منتصف الشتاء  
الماضى .

ثم اردفت المرأة قائلة

- لم يحدث ذلك كله فجأة . . فسقوط هذا  
المنزل كان يتحقق طوال حياة السيد الكبير وابيه .  
فلم يعد السادة يهتمون بالأرض ، ويأخذون المال الذى  
يعطيه لهم الوكيل وينفقونه كالماء بلا حرص ، ثم باعوا  
الارض قطعة قطعة .

ووقف وانج لانج وهو لايزال ينظر حوله . كان  
ذلك مستحيلا بالنسبة له ليصدق ما يراه وما يسمعه

ثم سال :

- اين السادة الصغار ؟

**فكانت المرأة بلا اكتراث :**

- منا وهناك .. لقد تفرقوا ..

**فسال وانج لانج ولايزال لا يهلق :**

- لكن فى يد من اضع النقود ؟

**فاجابت السيدة بركة :**

- فى يد السيد الكبير .. من غيره ؟

وفهم وانج لانج ان يد السيد الكبير مفتوحة  
على يدها ، لذلك لم يتكلم معها أكثر من ذلك .

**ومضى وهو يقول :**

- يوم آخر .. يوم آخر .. سأتى فى يوم  
آخر ..

وذهب الى البوابة ، ومنها الى الشارع وهو فى  
حيرة شديدة ، محتاجا للتفكير فيما سمعه ، ودخل  
صالة الشاي ، وطلب شايا . وكلما فكر كلما بدا له  
مدى فظاعة ما حدث للأسرة الغنية العظيمة التى

عاشت طول حياته هو وابيه وجده قوية ومتألقة في  
البلدة . . والآن سقطت وتشتتت وراحت سدى !

وظل يراقب حتى وجد صاحب المحل فنادى عليه  
**وقال :**

- تعال واشرب طاسة شاي على حسابي واسرد  
على اخبار البلدة حيث انني كنت بعيدا عنها طول  
الشتاء .

كان صاحب المحل مستعدا دائما لمثل هذه  
الاجاديث ، خصوصا لو احتسب شايه على حساب  
شخص آخر ، ولذلك جلس عن طيب خاطر على مائدة  
وانج لانج ، وبدأ يقول في الحال :

- حسن ، فيما عدا موت الناس من الجوع ،  
والتي ليست بالأخبار ، فأعظم الأخبار ، كانت سرقة  
المنزل الكبير .

انه بالضبط ما كان يأمل أن يسمعه وانج لانج ،  
واستمر الرجل يخبره بالقصة بكل ترحاب ، ويصف

له كيف بكى العبيد ، وكيف نقلوهم بالقوة ، ولذلك  
فلا يعيش بالمنزل الآن أحد على الإطلاق ، وانهى كلامه  
قائلا .

- لا أحد ، ماعدا السيد الكبير الذى يقع الآن  
تحت السيطرة الكاملة لعبدة تدعى كوكو ، والتي كانت  
محظية السيد الكبير لسنين عديدة بسبب براعتها ،  
بينما كان غيرها يأتى ويذهب .

- وهل هذه السيدة صاحبة الأمر اذن ؟

- انها تستطيع أن تفعل أى شئ فى الوقت  
الحالى ، وتقبض بيدها على كل شئ ، وتبتلع كل  
ما يمكن بلعه ، وتساءل وانج لانج مرتعشا من اللهفة :  
- 'والارض ؟'

فكر الرجل بغباء :

- الارض ؟

فالارض بالنسبة لصاحب المحل هذا لاتعنى أى  
شئ على الإطلاق .

- هل هي معروضة للبيع ؟

- أوه ، الأرض ! لقد سمعت أنها للبيع ، فيما  
عدا القطعة التي دفنت فيها الأسرة منذ سنوات  
عديدة .

فنهض وانج لانج وذهب . واتي الى البوابات  
الكبيرة ، وجاءت المرأة لتفتح له ، فقال لها وانج لانج  
مباشرة :

- هل تبيعين الارض مقابل ذهب أم مقابل  
فضة أم مقابل جواهر !

فدمعت عينها وهي تقول :

- سأبيعها مقابل جواهر !

وأصبح لوانج لانج الآن أرضا اكبر من أن  
يستطيع رجل مع ثور واحد أن يحراثها ويجنيها ،  
لذلك بنى حجرة أخرى بمنزله ، واشترى حمارا ،  
وقال لجاره شينج :

- بع لي قطعة الأرض التي عندك ، واترك  
منزلك وتعال الى منزلي وساعدني في أرضي .

وفعل شينج ذلك ، وكان سعيدا به . وعندما  
جاء موعد الجنى ، لم يستطع هو وشينج وحدهما أن  
يجنياها . انها أصبحت كبيرة عليهما : لذلك استاجر  
وانج لانج رجلين آخرين من القرية .

ولم يكن لدى وانج لانج ، فى ذلك الوقت ،  
أى أسى من أى نوع ، فيما عدا أن ابنته الطفلة الكبرى  
لا تتكلم ، ولا تفعل الأشياء المناسبة لسنها .  
وكل ما كانت تفعله هو أن تبتسم ابتسامتها  
الطفولية ، وسواء أكان ذلك بسبب سنتها الأولى  
الصعبة من حياتها أو أيا ما كانت الأسباب ، فعند  
مر الشهر تلو الآخر ، وانتظر وانج لانج الكلمات  
الأولى من شفثيها ، ولكن لم يصدر أى صوت . . فقط  
الانتسامة الحلوة الجوفاء ، وعندما ينظر اليها يقول  
لنفسه .

- أيتها البلهاء الصغيرة . . يا بلهائى الصغيرة  
المسكينة . . اذا كنت بعت هذه الطفلة المسكينة  
واكتشفوا أنها هكذا لكانوا قتلوها .

كان يعاملها بحنان ، وياخذها معه الى الحقول  
أحيانا ، وتتبعه في صمت ، وتبتسم له عندما يراقبها .

لقد عزم وانج لانج أن يبني ثرواته بشكل قوى  
ومتين حتى لا يحتاج مطلقا خلال السنوات السيئة الى  
مغادرة أرضه ثانية ، ويمكنه العيش على انتساج  
السنوات الطيبة حتى يأتي محصول آخر . لقد عزم  
على ذلك ، وساعده الآلهة . فكانت المحاصيل أكثر  
مما يأكلونه لمدة سبع سنين . وأخذ في كل سنة  
يستأجر عمالا أكثر لحقوله ، حتى أصبح لديه ستة  
رجال ، وبني منزلا جديدا خلف منزله القديم ، وانتقل  
هو وعائلته اليه ، وعاش الرجال مع شينج على رأسهم  
في المنزل القديم .

وفي غضون ذلك خبر وانج لانج جاره شينج  
تماما ، ووجده أمينا مخلصا ، لذلك وضعه مشرفا على  
الرجال ، وعلى الأرض ، وأجزل له العطاء . . . قطعتي  
فضة في الشهر ، بالإضافة الى الطعام ! ويبدو أن  
حفنة الفول والبذور التي انتقلت بين الرجلين قد جعلت

منهما أخوين ، فيما عدا أن وانج لانج الذي كان الأصغر  
أخذ مكان الأكبر ، وكذلك لم ينس شينج أبدا أنه  
يعمل ويعيش في منزل يخص غيره .

ومع نهاية السنة الخامسة ، كان وانج لانج  
يعمل قليلا في الحقول بنفسه ، حيث كان عليه أن  
يقضى جل وقته في بيع محصوله وتوجيه عماله ، وكان  
يعوقه كثيرا قلة علمه ومعرفته بمعاني الحروف ،  
وكان يقول في سريره :

- انه لعار على الا أستطيع القراءة والكتابة ،  
سأخذ ابني الأكبر من الحقول وأرسله الى المدرسة  
بالبلدة ، وسيتعلم ، وعندما أذهب الى سوق الفلال  
سيقرأ ويكتب لي .

ونادى ابنه ذلك اليوم . وكان صبيا طويلا  
ممشوق القوام ، بلغ الثانية عشرة من عمره حاليا ،  
وقال له :

- ستترك الحقول من اليوم ، لأننى احتاج لفرد



فى الأسرة يقرأ الاتفاقيات ، ويوقع باسمى . وبذلك  
سوف لا أشعر بالخجل فى البلدة !

**فبرقت عينا الصبى وقال :**

- أبى ، لقد رغبت أن أفعل ذلك فى السنتين  
الآخرتين ولكنى لم أجرؤ على الطلب .

**وعندما سمع بذلك الولد الأصغر جاء صارخا  
وشاكيا :**

- حسن ، سوف لا أعمل فى الحقول أنا أيضا .  
فليس من العدل أن يجلس أخى مرتاحا على كرسي  
ويتعلم ، بينما أنا ، الذى هو ابنك أيضا ، على أن  
أعمل مثل الأجير !

ولم يكن وانج لانج يتحمل ضوضاءه ، كان  
يعطيه أى شىء إذا صرخ عاليا ، فقال له بسرعة :

- حسن ، اذهبى كلاكما ، فإذا أخذت السماء  
واحدا منكما فسيكون هناك الآخر مستعدا بالمعرفة ،  
ليؤدى العمل من أجل .

وتم اعداد كل شيء ، واجريت الترتيبات لارسال  
الولدين الى مدرسة صغيرة قرب بوابة المدينة صاحبها  
رجل عجوز ، كان قد تقدم فى الماضى البعيد لامتحانات  
الحكومة ولم يجتزمها . ووضع فى حجرة فى منزله المقاعد  
والمناضد، وكان يقوم بتعليم الأولاد، ويصر بهم بمروحتة  
الطويلة المطوية ، اذا كانوا كسالى ، أو اذا لم يستطيعوا  
أن يعيدوا عليه الصفحات التى تعلموها من شروق  
الشمس الى غروبها .

كاد قلب وانج لانج يقفز فخرا ، حيث بدا له انه  
لا يوجد بين جميع الاولاد الموجودين فى تلك الحجرة ند  
لولديه فى الطول والقوة والوجه الأسمر المشرق . ومنذ  
ذلك الوقت لم يناد المدرس العجوز على الولدين بالاكبر  
والأصغر بل سماهما اسمين ، ويعنى مقطع من اسم  
كل منهما « الشخص الذى ثروته من الأرض ! » .

وهكذا بنى وانج لانج ثروات منزله . . . وعندما  
جاءت السنة السابعة امتلا الظهر العظيم الذى يجرى من  
جهة الشمال بالمياه الزائدة بسبب الامطار والجليد فى

الشمال الغربي وفاضت المياه على ضلفتيه ، وحدث  
فيضان على المنطقة كلها . ولكن لم يكن وانج لانج خائفا ،  
رغم أن نصف أرضه أصبحت بحيرة عميقة يصل الى كتفى  
الإنسان وأكثر

وارتفع المياه خلال نهاية الربيع وبداية الصيف .  
وفى النهاية كوّنت بحرا عظيما فاتنا وتافها فى نفس  
الوقت ، يعكس السحب والقمر والاشجار التى تقف  
جدوعها فى الماء ، وببيت ترابى هنا ، وآخر هناك . .  
تركها اصحابها تسقط على مهل ، وتعود ثانية الى اصحابها  
الماء والتراب . وكان هذا حال جميع البيوت التى لم تكن  
مثل هذا البيت الذى بناه وانج لانج على التل . فكانت  
التلال تقف ظاهرة كالجزر . وكان الناس يذهبون الى  
المدينة ويجيئون منها بواسطة الزوار . وكثيرون منهم  
ماتوا من الجوع .

لم يكن وىج لانج خائفا ، لكنه كان غير ذى نفع  
عن أى وقت مضى فى حياته لأن معظم الأرض لا يمكن  
زرعها . وجعله تعطله وتختمه بالجيد من الطعام يزداد

ضجرا ، فالانسان لا يستطيع أن يجلس كل يوم ينظر الى بحيرة ماء تغطى حقوله ، فهو لا يستطيع أن يأكل أكثر من حاجته ، وهناك نهاية للنوم ، والمنزل كان ساكنا حيثما تجول ، ووصل الرجل الكبير فى العمر عتيا وأصبح هزيلا جدا ، ولا مدعاة للحديث معه الا فى الاستفسار منه ان كان يشعر بالدفع ولا يحتاج لاكل أو لشرب الشاى ، وكذلك البنت الكبرى ، التى لم تتكلم أبدا ، ولكنها تجلس بجانب جدّها ساعة وراء ساعة ، تطوى ثم تطوى ثانية قطعة من القماش مبتسمة لها .. هذان الاثنان - الأب والابنة - ليس لديهما ما يقولانه له .

عندئذ أخذ ينظر الى أو - لان زوجته ، كرجل ينظر الى المرأة التى عاشت قريبة منه ، ملاصقة له ، لدرجة أنه لا يوجد شيء لا يعرفه عنها . ولا جديد يأمله منها ، وكان يبدو لوانج لانج انه ينظر الى أو - لان مرة لأول مرة فى حياته .. ورأى انها امرأة لا يستطيع أى رجل أن يصفها بأنها جميلة ، بل مخلوقة باهتة وعادية ، تعمل فى صمت دون أن تفكر فى مظهرها .. كان

يحس بالحجل فى داخله لكونه غير حنون على هذه المخلوقة  
التي تبعتة باخلاص الكلب كل هذه السنين .. وتذكر  
عندما كان فقيرا ، ويعمل فى الحقول بنفسه ، وكانت  
هى تفادر فراشها بعدما تلد الطفل وتأتى لتساعده فى  
حصاد الحقول، ولم يستطع أن يوقف الشعور الدافق فى  
قلبه ، وقال :

— لقد عملت ، واصبحت غنيا ، وأود لزوجتى ألا  
تبدو كزوجة أجير عادى ، وأقدامك هذه ..  
وتوقف .. لقد بدت له أنها على بعضها قبيحة ،  
ولكن أقبح شيء أقدامها الكبيرة فى احذيتها القطنية  
الواسعة ، ونظر اليهما بغضب .. لذلك سحبتهما أبعد  
تحت المقعد ، وقالت أخيرا فى همس :

— لم تربطهما أُمى ، فلقد باعونى صغيرة ، لكننى  
سوف أربط قدمى البنت .. سأربط قدمى البنت  
الصغرى .

كان خجلا من غضبه منها ، وكان غاضبا لأنها لم  
تغضب بدورها ، فقال :

- سأذهب الى صالة الشاي ، وارى اذا أمكن ان  
أسمع أى شىء جديد ، فلا يوجد فى منزلى سوى البلهاء ،  
والرجل العجوز ، والأطفال .

وزاد سخطه أثناء سيره الى المدينة ، لانه تذكر  
فجأة ان كل هذه الاراضى الجديدة التى لديه لم يكن  
يقدر على شرائها فى عمره ، اذا لم تحصل أو - لان  
على حفنة المجوهرات من منزل الرجل الغنى ، واذا لم  
تعطها له عندما طلبها . فاحتد غضبه اكثر ، وقال :

- حسن ، انها لم تعرف ما كانت تفعله . لقد  
استولت عليها للمتعة الحسية ، كما يستولى طفل على  
حفنة من الحلوى الحمراء والخضراء وربما كانت ستخفيها  
الى الأبد اذا لم أكتشفها .

وأخذ يتجول فى شوارع البلدة ، لا يعرف ما يريد  
عمله . ولم يبد له أى شىء طيبا كما كان من قبل ،  
ومر على خيمة راوى القصص فجلس برهة فى نهاية  
مقعد مزدحم ، وأخذ يستمع القصة الراوى عن قديم

الزمان عندما كان رجال الحرب شجعانا وحاذقين ،  
لكنه جلس متمللا ولم يستطع الاستماع لها ونهض  
ثانية وخرج .

وكانت هناك صالة شاي كبيرة قد افتتحت أخيرا  
بالبلدة ، ومر عليها وانج لانج من قبل ، وأصابه الفزع  
أزاء فكرة اتفاق النقود على ألعاب الحظ والنساء  
الفاستات . . ولكنه الآن بدافع من ضميره الناتج عن  
بطالته ، ورغبته في نسيان عدم انصافه لزوجته اتجه  
نحو هذا المكان . كما كان مدفوعا برغبته في مشاهدة  
أسماع أى شيء جديد . وهكذا خطا مجتازا باب  
الصالة المتألقة .

وفي البداية لم يتكلم على الإطلاق . وطلب الشاي  
بهدهوء واحتساء ، ونظر حوله في اندهاش . كانت  
الصالة عبارة عن قاعة كبيرة . وسقفها كان مطليا  
بالذهب ، وعلى الجدران صور نساء مصبوغة بالألوان  
على حرير أبيض فأخذ يسترق النظر الى هؤلاء  
النساء ، وبدأ له أنهن نساء أحلام . لأنه لم ير مثلهن

على الأرض . وفى أول يوم نظر اليهن واحتسى الشاي  
بسرعة وخرج .

ولكن يوما بعد يوم أخذ يذهب الى صالة الشاي  
الجديدة ، أثناء حدوث الفيضانات . كان يجلس وحيدا ،  
ويشرب الشاي ، وينظر الى صور النساء الجميلات  
وكل يوم يجلس وقتا أطول ، فليس لديه ما عمله  
لا فى أرضه ولا فى منزله . وفى احدى الامسيات عندما  
كان يجلس على مائدة قرب نهاية الصالة يحتسى شايه ،  
تطلع فرأى شخصا ما ينزل من سلم ضيق يؤدي الى  
طابق علوى ، وعندما دقق ببصره وجدها كوكو ، المرأة  
التي سكب فى يدها المجوهرات فى ذلك اليوم عندما  
اشترى الأرض . . فضحكت عندما رآته ، وقالت :

- حسن ، وانج المزارع ! من يتوقع أن يراك هنا !

فترأى لوانج لانج أنه يجب أن يثبت لهذه المرأة  
بأى ثمن أنه أكثر من مجرد رجل ريفى ، فضحك وقال  
بصوت مرتفع :



- أليست نقردى فى جودة أى رجل آخر ؟ فلا يعوزنى المال هذه الأيام ، فلقد كونت ثروة طيبة .

توقفت كوكو عندما سمعت سيرة النقود . كانت عيناها ضسقتين وبراقتين كعيني أفعى ، وصوتها ناعما نعومة الزيت المنسكب فى وعائه وقالت :

- من لم يسمع بذلك ؟ وكيف ينفق رجل نقوده فى مكان أفضل من هذا ، حيث يحصل الاثرياء على متعتهم ، ويسمع السادة الشبان بتناول طيب الطعام والم لذات ؟ فلا يوجد مثل نبيذنا - هل تذوقته يا وانج لانج

**فاجاب وانج لانج خجلا بعض الشئ :**

- لقد شربت الشاى فقط حتى الآن .

- وأتصور انك لم تنظر الى أى شئ آخر اليس كذلك ؟ أيه ؟ ألم تر الأيدى الصغيرة الجميلة ؟ ولا الشفاه الفواحة بالعطر ؟

فتدلت راس وانج لانج ، ا قال فى اوتباك :

- كلا ، كلا ٠٠ لم يحدث ٠٠ شأى فقط !

عندئذ ضحكت المرأة واسلوت الى الصور ، وقالت :

- ها من اختر أية واحدة منهن ترغب فى رؤيتها !  
وضع الفضة فى يدي ! وساضعها امامك !

- هؤلاء ! فكرت انهن صور نساء أحلام لالهات  
فى جبل كوين لوين اللاتى يتحدث عنهن راوى القصص .

فاجابت كوكو :

- انهن كذلك ، نساء أحلام ٠٠ ولكنهن أحلام  
تحولها قطعة فضة الى لحم ٠٠ ومضت فى طريقها .

جلس وانج لانج ينظر الى الصور بولع جديد ،  
ونظر لكل وجه مزين بالالوان وكأنه حقيقى ، واختار  
أكثرهن جمالا ، امرأة رقيقة ذات وجه منمنم كوجه قطعة  
ويد ممسكة بعنق زهرة لوتس ، وجرى الدم فى جسده  
حارا سريعا ٠٠ !

## الفصل السابع

---

لو كانت المياه قد انحصرت فى ذلك الوقت وتركت  
أرض وanj لانج ، فربما لم يكن يستطيع أن يذهب الى  
محل الشاى الكبير ٠٠ ولكن المياه كانت تكمن هادئة  
بلا حراك ، الا عندما تهب ريح الصيف الخفيفة عند  
الغروب ٠٠ وفى نهاية أحد الايام الطويلة الذى كان  
يبدو أطول من أى يوم آخر ، مشى بدون كلمة لأى  
أحد على طول الممرات الضيقة بجانب حافة الماء ، وعبر  
الحقول حتى وصل الى ظلام بوابة المدينة ، وعبر البوابة  
والشوارع حتى جاء الى محل الشاى الجديد .

تردد وانج لانج عند الأبواب ، ووقف فى الضوء  
الساطع المنبعث منها \* فخرجت من الظلال الجاثمة على  
حافة الضوء امرأة مستندة باسترخاء على المدخل ..  
وكانت كوكو ، ولما رأت من يكون قالت :

— آه ، انه الفلاح لا غير !

**فغضب وانج لانج فجأة وقال :**

— حسن ، الا آتى الى المحل ؟ الا أفعّل كما يفعل  
الرجال الآخرون ؟

**فضحكت وقالت :**

— ان كان لديك الفضة التى لديهم فيمكنك أن تفعل  
ما يفعلون !

فوضع يده فى حزامه ، وأخرجها مملوءة بالفضة  
وقال لها :

— أهذا يكفى أم لا يكفى ؟

فنظرت فى دهشة الى حفنة الفضة ، وقالت بلا  
تاخير :

— تعال ، وقل لى اى واحدة ترغب .

**وقال وانج لانج وهو لا يدرى ما يفعله :**

— هذه الصغيرة ذات الذقن البارز ، التى تمسك  
بزهرة اللوتيس فى يدها !

فاشارت له المرأة ، وشقت طريقها بين الموائد  
المتراصة ، وتبعها وانج لانج عن بعد ، وصعدا السلم  
الضيق المستقيم الذى صعد وانج لانج بصعوبة ، لانها  
اول مرة يصعد فيها سلالم فى منزل ، وبدت مرتفعة  
عندما مر بنافاذة وطل منها ، ثم قادت المرأة فى ممر  
مظلم ، ثم طرقت بابا مغلقا بكف يدها بعدة ، ودخلت  
بدون انتظار ، وبالدخل كانت تجلس فتاة رقيقة  
صغيرة على فراش مغطى بالحريز .

لو أن احدا أخبره بوجود اriad صغيرة مثل هذه ،  
لما صدقه . . يدان صغيرتان ، وعظام دقيقة ، وأصابع

انسيابية جدا ، لها اظافر طويلة مطلية باللون الوردى .  
ولو أن أحدا أخبره بوجود أقدام مثل هذه . قدمان  
صغيرتان محشورتان في حذاء من الحرير الوردى ،  
ليستا أطول من خنصر رجل ، يتأرجحان فوق حافة  
الفراش ، لما صدقه .

وأصبح وانج لانج حاليا مريضا بالمرض الأكبر من  
أى مرض . لقد قاسى عند عمله فى الشمس ، وقاسى  
من الرياح الثلجية القادمة من الصحراء ، وقاسى من قلة  
الطعام ، عندما فشل المحصول ، وقاسى من اليأس فى  
العمل بدون أمل فى شوارع المدينة الجنوبية . لكنه لم  
يقاس تحت وطأة كل ذلك ، كما قاسى تحت وطأة يد هذه  
الفتاة الصغيرة .

أحب وانج لانج هذه الفتاة طوال فترة الصيف  
الحار . لم يعرف شيئا عنها . من أين أتت ؟ أو من  
كانت ؟ وعندما يكونا سويا فلا يتفوه الا بكلمات قليلة ،  
وينصت لفيض حديثها الخفيف الملى بالضحك مثل حديث  
طفلة . ويراقب وجهها . يداها . أوضاع جسدها



لوتس في الجناح الداخل ..

•• وميض عينيها الواسعتين الحلوتين •• لم يشبع منها مطلقا ، واعتاد ان يرجع الى منزله عندما يظهر ضوء النهار منعبا وغير راض •

واذا تكلم أحد معه - زوجته أو أطفاله - أو اذا جاء شينج وقال :

- ستنحصر المياه قريبا ، فأى البذور جاهزة لدينا ؟

فكان يصيح :

- لماذا تزعجنى ؟

ومع مرور الأيام أصبحت الفتاة لوتس تفعل معه ما يحلو لها ، وأخذت الفضة تتدفق من بين يديه • وأو - لان التى كانت قد تقول له فى الأيام الخوالى بكل سهولة : « لماذا أخذت نقودا من الجدار » لم تقل له شيئا الآن ، لكنها تراقبه فقط فى تعاسة • لقد خافت منه منذ ذلك اليوم ، عندما رأى بوضوح انها ليست جميلة الشعر أو الوجه ، وعندما رأى أن قدميها ضخمتان • وكانت تخاف أن تطلب منه أى شىء بسبب الغضب المستعر ازاءها دائما •



وذات يوم عندما عاد عبر الحقول متجها الى المنزل  
مر بالقرب منها وهى تغسل ملابسها فى البركة . فوقف  
أمامها فى سكون لفترة ، ثم قال لها بخسونة ليغطفى  
خجله ، ولا يعترف بالآلم الذى فى قلبه :

— أين اللؤلؤتان ؟ !

فأجابت بخوف رافعة بصرها من حافة البركة ،  
ومن الملابس التى كانت تضربها على حجر أملس مستو :

— اللؤلؤتان ؟ . . . عندى !

فقال وهو لا ينظر اليها ، انما الى يديها المبتلتين :

— لا فائدة فى الاحتفاظ باللؤلؤ .

عندئذ قالت ببطء :

— لقد فكرت أن أعمل حلقتين منهما فى يوم ما .

وخوفا من ضحكته قالت مسرعة :

— يمكن أن أحتفظ بهما للبنت عندما تتزوج .

ولكنه اجابها بصوت عال وبقلب متحجر :

- ولماذا تتحلى باللؤلؤ وبشرتها سوداء كالأرض ؟  
اللؤلؤ للنساء الشقراوات .

وبعد لحظة صمت صرخ قائلا فجأة :

- اعطيها لي .. انى احتاجهما !

عندئذ وضعت يدها المبتلة ببطء فى ملابسها ،  
وأخرجت الصرة الصغيرة ، وأعطتها له ، وراقبته وهو  
يفكها .. واستقرت اللؤلؤتان فى يده .. واصطادتا ضوء  
الشمس ، وضحك لرؤيته لهما .

وعادت أو - لان لضرب ملابسها .. وعندما  
تساقطت الدموع من عينيها ببطء وثقل ، لم ترفع يدها  
لتمسحها .. اذ كانت تضرب بعصاها الخشبية بشكل  
ثابت على الملابس الممددة فوق الحجر .

وهكذا كان الحال سيستمر حتى ينفق وانج لانج  
كل فضته ، لو لم يعد عمه فجأة وبدون أى تفسير من

أين كان أو ماذا كان يفعل . لقد وقف عند الباب ،  
وكانه سقط من السماء ، وملابسه الممزقة مثبتة حول  
جسمه كما كان دائما وكذلك وجهه ، برغم أنه أصبح  
أشد قسوة بسبب الشمس والرياح .

نهض وانج لانج مندهشا والخوف في قلبه ، لكنه  
كان مؤدبا سى سله كه ، وقال

— حسن يا عمى ، هل تناولت الافطار ؟

**فاجابه عمه بهلوه :**

— كلا ، ولكنى سأكل معك !

وجلس ، وسحب طاسة نحوه ، وقام بخدمة  
نفسه بحرية . وعندما اكل قال ببساطة :

— والآن ، سأنام . لأننى لم اتم مدة ثلاث ليال .

فقاده وانج لانج — الذى لم يكن يعرف ما يفعله  
غير ذلك — الى فراش أبيه ، ونظر عمه للغرفة من حوله  
**وقال :**

- حسن ، لقد سمعت بانك غنى ، ولكنى  
لم أعرف انك غنى لهذه الدرجة .

والقى بنفسه على الفراش ، ونام دون كلام  
آخر .

وأخيرا مرت فترة ما بعد الظهيرة ، واستيقظ  
عمه ، وخرج من الغرفة جارا ملابسه فوق جسده

**وقال لوانج لانج :**

- والآن ، سأحضر زوجتى وابنى ، اننا ثلاثة ،  
ولن يؤثر طعامنا الذى نأكله ، ولا ملابسنا الفقيرة  
التي نرتديها على أحد فى منزلك الكبير هذا .

لم يستطع وانج لانج الاجابه ، ومن العار على  
رجل أن يطرد عمه من المنزل ، عندما يكون لديه  
ما يكفى لطعامه ويزيد .

لكن وانج لانج كان غاضبا بشكل شديد ..  
وغاضبا أكثر لأن عليه أن يدفن كل ذلك فى قلبه ،  
ويرحب بأقاربه بالابتسامات . وعندما رأى وجهه

زوجة عمه السمين الناعم شعر وكأنه سينفجر غضبا ،  
أما عندما رأى وجه ابن عمه الصفيق السفيف استطاع  
بالكاد أن يمنع يده من صفعه . وظل غاضبا لمدة  
ثلاثة أيام ، لدرجة أنه لم يذهب الى البلدة .

**وعندما اعتادوا على ما حدث قالت له أو - لان :**

- لا تفضب ، هذا شيء يجب أن نتحمله !

ورأى وانج لانج أن على عمه وزوجة عمه والابن  
أن يكونوا مؤدبين من أجل طعامهم ، وتحولت أفكاره  
بشكل أكثر عنفا من قبل نحو فتاة اللوتس ،  
**وقال لنفسه :**

- عندما يكون منزل الرجل مليئا بالكلاب  
المسعورة فيجب أن يبحث عن السلام في مكان آخر .  
واحترقت فيه كل الحمى ، والالم القديمين .

ومالم تراه أو - لان لبساطتها ولا الرجل العجوز  
بسبب سنه ، ولا شينج بسبب صداقته ، رآته زوجة  
عمه في الحال ، وصرخت قائلة :

- ان وانج لانج يامل فى قطف زهرة فى  
مكان ما ا

وعندما نظرت اليها او - لان بانكسار ، غير  
فاهمة ، ضحكت وقالت ثانية :

- حسن ، اذن بصراحة ، رجلك متيم بامرأة  
أخرى ا

وسمع وانج لانج زوجة عمه يقول صباح احد  
الايام خلف نافذته :

- لقد خبرت الرجال . فعندما يمشط رجل  
شعره ، ويشترى ملابس جديدة ، واحذية جديدة  
فجأة ، فهناك امرأة جديدة فى مكان ما . هذا اكيد . .  
يجب أن تفهمي يابلهاء يامسكيئة ان امرأة واحدة  
لا تكفى أى رجل ، واذا كانت هذه الواحدة امرأة  
مجتهدة ، وأبليت لحمها فى خدمته ، فهي أقل مما يكفيه ،  
ويجسرى هواه الى مكان آخر بسرعة أكثر ، وأنت  
يابلهاء يا مسكيئة ، كنت أفضل قليلا من تور يعمل  
من أجله ، وليس عليك أن تفضبي ، اذا كان لديه

المال واشترى لنفسه امرأة أخرى ويجلبها الى منزله .  
لأن كل الرجال هكذا .

وقالت أكثر من ذلك ، لكن أفكار وانج لانج  
توقفت عندما قالت ، لانه عرف فجأة كيف يسد جوعه  
وعطشه لفتاة اللوتس التي يحبها ، قد يشتريها  
ويحضرها لمنزله ، قد يجعلها ملكه ، حتى لا يستطيع  
ان يقربها رجال آخرون ، وعندئذ قد يشبع ، ونهض  
في الحال وخرج ، وأشار لزوجة عمه أن تلحقه ،  
وعندما تبعته الى مكان لا يستطيع ان يسمعها فيه  
احد قال :

- لقد سمعت ما قلته خارج نافذتي ، انك على  
صواب ، اننى فى حاجة لأكثر من هذه الواحدة  
ولم لا ؟ طالما لدى الأرض لتطعمنا كلنا

**فأجابت بسف**

- لم لا ، حقا ؟ فكل الرجال الذين يفتنون  
يفعلون ذلك . انه الرجل الفقير فقط الذى يجب أن  
يشرب فى كأس واحدة .

**واستطرد - كما توقعت هي - قائلا :**

- لكن من سيرتب الموضوع لى ؟ فلا يستطيع رجل ان يذهب الى المرأة ويقول « تعالى الى منزلى » .

**فاجابت على ذلك فى الحال :**

- اترك هذه المهمة فى يدى . اخبرنى فقط من هى المرأة ، وسأنفذ لك المهمة .

وبينما كان ينتظر زوجة عمه لتتم الموضوع ، نادى عماله ، وأمرهم أن يضيفوا جناحا آخر لمنزله خلف الحجرة الوسطى . وانتهى من كل ذلك ، ومضى شهر ، والعملية لم تتم بعد . لذلك انتظر وانج لانج بمفرده فى الجناح الجديد الذى بناه للوتس ، وفكر فى أن يبنى بركة ماء صغيرة فى منتصف المساحة الجديدة . فنادى أحد العمال ، الذى حفر بركة مساحتها ثلاثة أقدام مربعة وصقلها بالقرميد ، وذهب الى المدينة واشترى لها خمس سمكات صغيرة ، ولم يستطع أن يفكر فى أى شيء آخر ليفعله ، فانتظر ثانية على أحر من الجمر .



وجاءت الى منزله عند نهاية الصيف فى أحد  
الأيام الحارة المشرقة . وحملها الرجال على أكتافهم  
فى كرسى تحيط به الستائر من كل جانب . وأخذ  
يراقبهم والكرسى يتحرك فى هذا الطريق وذاك الطريق  
على طول الممرات الضيقة ، بجانب الحقول وكانت  
كوكو تسير خلفها . وعندما اقترب الموكب صاحت  
كوكو فى مرح :

- حسن ، لم أكن أظن أننا سنقوم بعمل كهذا !  
وذهبت الى الكرسى الذى وضعه الرجال على  
الأرض ، ورفعت الستارة وقالت :

- تعالى ، يا زهرة اللوتس ، هذا هو منزلك ،  
وهنا سيدك !

وارتفعت الستارة ، وقبل أن يدرك ما فعله نظر  
.. كانت تجلس فى الظل فى زينتها الكاملة ..  
باردة كالزهرة .. انها فتاة اللوتس . وبينما كان  
يراقبها، أخذت هى يد كوكو ونزلت، واحتفظت برأسها

منخفضا اثناء مشيها على قدميها الصغيرتين مستندة  
على كوكو ، وعند مرورها لم تكلمه .

**ولكن همست بوهن :**

**- أين حجراتي ؟**

عندئذ جاءت زوجة عمه الى الامام على الجانب  
الآخر منها ، وقادا بينهما الفتاة الى الساحة والى  
الحجرات الجديدة التى بناها لها وانج لانج . ومشى  
بصعوبة على قدميها الصغيرتين ولم يكن يوجد بالنسبة  
لوانج لانج شئ فى العالم فى جمال قدميها المدببتين  
الصغيرتين ، ويديها البضتين الدقيقتين .

ليس من المفروض أن قدوم هذه الفتاة التى  
تدعى لوتس ، ووصيبتها كوكو الى منزل وانج لانج  
يمكن أن يتم دون ما يعكر الصفو . فوجود أكثر من  
امراة تحت سقف واحد لا يشكل سلاسا . فحدثت  
مشاجرات فى الحال بين أو - لان وكوكو . كانت  
كوكو راغبة فى أن تكونا صديقتين ، ما دامت تقبض

من وانج لانج • وصاحت فى او - لان فى ابتهاج  
عندما راتها لأول مرة :

- حسن ، يا صديقتى القديمة ! ها نحن هنا فى  
منزل سويلا مرة ثانية ، أنت الزوجة الأولى وسيدة  
المنزل - كيف تغيرت الأمور !

لكن او - لان نظرت اليها فقط ، وعندما فهمت  
أخيرا من هى ، وما هو دورها ، لم تجب وأنزلت الماء  
الذى كانت تحمله ، ودخلت الحجرة الوسطى حيث كان  
وانج لانج جالسا ، وقللت له بصراحة :

- ما الذى تفعله هذه المرأة العبدة فى منزلنا ؟

نظر وانج هنا وهناك ، وجعله خجله فاضبا ،  
لكنه عندما فكر فى الموضوع وجد أنه لا داعى للخجل ،  
اذ لم يفعل أكثر من أى رجل لديه فضة كافية .

وقفت او - لان هناك بصلافة على قدميها  
الكبيرتين وانتظرت ، وعندما لم يتفوه بشئ سألت  
ثانية بنفس الكلمات :

- ما الذى تفعله هذه المرأة العبداء فى منزلنا ؟

عندئذ قال وانج لانج بضعف :

- ماذا يهيك فى ذلك ؟

فقالآ أو - لان :

- لقد تحملآ نظراتها المتكبرة طوال شبابى فى المنزل . كانت تركض الى المطبخ عشرين مرة فى اليوم صارخة « والآن اعملى شأى للسيد » « والآن طعام للسيد » وكانت دائما ما تقول « هذا ساخن » و « هذا بارد » و « هذا سىء الطهى » وأنا كنت الغبيا البطيئة و .. و .. ولكن ما زال وانج لانج لا يجيب ، لأنه لم يكن يعرف ماذا يقول .

وانتظرت أو - لان ، وعندما لم يتكلم جاءت الدموع الحارة ببطء الى عينيها ، وحاولت أن تمسح دموعها . ثم أخذت بطرف رداؤها الأزرق ومسحت عينيها .. وقالت فى النهاية :

- أنه شيء مرير فى منزلى ، وليس لدى منزل  
أم لأعود اليه .

كان وانج لانج لا يزال صامتا . ونظرت اليه  
بحزن يخرج من عينيها اللتين كانتا مثل عينى بهيمة  
لا تستطيع الكلام . ثم ولت ذاهبة وهى تزحف ببطء  
متلمسة طريقها للباب بسبب الدموع التى أعمتها .

راقبها وانج لانج وهى تذهب ، وكان سعيدا  
أن ينفرد بنفسه ، لكنه كان خجلا ، غاضبا لذلك .  
وقال لنفسه بصوت عال وبنفاد صبر ، وكأنه يتشاجر  
مع شخص آخر :

- حسن ، رجال آخرون يفعلون ذلك . لقد كنت  
طيبا بما فيه الكفاية نحوها . هناك رجال أسوأ منى .  
لكن لم تكن أو - لان قد انتهت من الموضوع ،  
وسارت فى طريقها فى صمت . وفى الصباح سخنت  
ماء وقدمته للرجل العجوز ولوانج لانج ، وعندما ذهبت  
كوكو لتبحث عن ماء ساخن لسيدتها كان الاناء فارغا .

استمرت أو - لان فى طبخها فى ثبات غير ملتفتة ..  
لصراخ كوكو المرتفع « هل تبقى سيدتى الرقيقة ،  
عطشى ، وتصرخ من أجل شربة ماء فى الصباح ؟ »  
.. ودفعت أو - لان بالعشب والقش فى الموقد وقامت  
بفرده بعناية كما كانت تفعل عادة فى الأيام الخوالى ،  
عندما كانت حتى ورقة الشجر ثمينة بسبب النار التى  
قد تشعلها تحت الطعام .

ذهبت كوكو الى وانج لانج شاكية بصوت عال ،  
فغضب أن ينفص حبه مثل هذه الأمور ، فذهب الى  
أو - لان وصاح بها :

- الا تستطيعين اضافة كوب ماء فى الاناء كل  
صباح ؟

ولكنها اجابت وعلى وجهها غضب أعظم من قبل :

- على الأقل ، انا لست عبدة للعبيد فى هذا  
المنزل .

فشاط غضبه وامسك بكتفها وهزها بشدة وقال :

- لا تكونى أكثر من بلهاء ! انه ليس للوصيفة ،  
بل للسيدة !

وتحملت عنفه ، ونظرت اليه وقالت بسداجة :  
- السيدة التى أعطيتها اللؤلؤتين  
الخاصتين بى ..

فأنزل يده ، وزال عنه غضبه ، وولى خجلا ،  
ثم قال لكوكو :

- سنصنع موقدا آخر ، وسأبنى مطبخا آخر .  
فالزوجة الأولى لا تعرف شيئا عن الطعام الرقيق الذى  
تحتاجه الأخرى لجسدها شبيه الزهرة .. وستطهين  
ما تحبين من طعام .

وأصبح موضوع المطبخ الجديد مصدر ازعاج له ،  
لأن كوكو تذهب الى البلدة كل يوم ، وتشتري أطعمة  
غالية تأتى من المدن الجنوبية وبدأ يرى أطعمة  
لم يكن قد سمع عنها مطلقا ، وكلها تكلف نقودا أكثر  
مما يجب أن يعطى . بالإضافة الى تأكله من أنها لا تكلف  
قدر ما تطلبه كوكو ..

وكان بترتب على هذا الازعاج ، ازعاج آخر ، وهو  
بخصوص زوجة عمه التي تحب الطيب من الطعام ،  
فغالبا ما كانت تذهب الى البلاط الداخلى فى اوقات  
الوجبات ، وكأنها فى بيتها . ولم يكن وانج لانج  
مسرورا أن تختار لوتس هذه المرأة كصديقة من بين  
كل من فى المنزل .

وهكذا لم يصبح حبه لوتس كاملا كما كان من  
قبل ، عندما كان يملا كل عقله ، اذ أتلفته هذه الغضبات  
الصغيرة التى زادت حدتها عليه ، لأنه كان مضطرا الى  
أن يتحملها . . . ولا يستطيع أن يذهب الى أو - لان  
بحرية ، لينفس عن نفسه ، طالما أن حياتهما سويا قد  
تخطمت الآن .

وجاء يوم عند انتهاء الصيف ، وسماء الصباح  
الباكر صافية ، زرقاء باردة كماء البحر ، وهبت ريح  
الحريف النظيفة فوق الأرض ، فتيقظ وانج لانج وكأنه  
كان نائما ، وتوجه الى باب منزله ، ونظر عبر الحقول . .  
لقد رأى المياه قد انحسرت والأرض ممتدة تبرى تحت  
الريح الجافة الباردة وتحت الشمس اللاسعة .



عندئذ صرخ فى داخله صوت أعمق من الحب ..  
صرخ فيه طالباً يده .. وسمعه فوق كل الأصوات  
الأخرى فى حياته ، فخرج قويا متلهفا وهو يصيح :

- أين العزاقة .. وأين المحراث ؟ وأين الحبوب  
لبذر القمح ؟ تعال يا شينج ، يا صديقى تعال - نادى  
الرجال .. اننى خارج الى الأرض !



## الفصل الثامن

---

بدأت لوتس فى الشكوى ، فهى ترى وانج لانج يفكر فى أشياء أخرى فى حضورها ، وتقول :

— لو كنت أعرف انك فى غضون أقل من سنة ، ستنظر الى ولا ترانى ، لبقيت فى بيت الشاى ! وكانت تشيح برأسها بعيدا وهى تتكلم ، وتنظر اليه من زاوية عينيها ، لذلك ضحك ، وأمسك بيدها ، ووضعها مقابل وجهها وقال :

— حسن ، لا يستطيع الرجل أن يفكر دائما فى الجوهرة التى ثبتها على ردائه ، برغم أنه لو فقدها ،

فلن يستطيع تحمل ذلك .. اننى أفكر هذه الأيام فى  
ولدى الأكبر الذى أشعر بتحمل دمه .. يجب أن  
يتزوج ، ولكنى لا أعرف كيف أجد التى يجب أن  
يتزوجها . اننى لست راغبا فى أن يتزوج من بنات  
فلاحى القرية .

وبدأت لوتس تنظر الى الابن الأكبر بشئ من  
الحظوة ، حيث أصبح طويلا رشيقا . ونادت كوكو ،  
التى ركضت قادمة من المطبخ .

- من كان الرجل الضخم حسن المظهر الذى جاء  
لى ثم اعتاد أن يذهب الى زهرة البرتقال ، رغم أنه كان  
دائما يحبني أكثر ، ولكن كان يزعجه اننى أشبه ابنته  
الصغيرة ؟

### فاجابت كوكو فى الحال :

- آه ، انه ليو تاجر الغلال . لقد كان رجلا طيبا !  
كان يترك الفضة فى يدي كلما رآنى !

وسأل وانج لانج المرأتين برغم أنه يعلم ان حديث  
النساء لا ينتهى غالبا الى شئ :

•  
- آين سوق الغلال هذا ؟

- فى شارع الجسر الحجرى •

ضرب وانج لانج يديه فى بعضهما فى سرور ،

**وقال :**

- انه حيث أبيع غلالى • انه لقال طيب ، يمكن

أن يتم هذا الموضوع بالتاكيد •

وتيقظ اهتمامه لأول مرة ، حيث بدا له شيئا طيبا

أن يزوج ابنه الى ابنة الرجل الذى يشتري غلاله •

كانت كوكو تشم رائحة النقود فى أى أمر تقوم

به ، كما يشم الفار الجبن ، فمسحت يديها ، وقالت

**بلهفة :**

- اننى جامرة لخدمة السيد •

• وتردد وانج لانج ، لكن لوتس قالت بابتهاج :

- هذا صحيح ! ستذهب كوكو ، وتسأل الرجل

ليو ، انه يعرفها جيدا ، ويتم الأمر لأن كوكو بارعة بما

فيه الكفاية • واذا تم بشكل جيد ، فستأخذ المال الذى يستحقه من يقوم عادة بترتيب الزواج •

لم يكن وانج لانج يريد أن يقرر بسرعة هكذا لأنه لم يفكر فى الموضوع بشكل كاف ، وصاح قائلاً :

- كلا ، اننى لم أقرر بعد • لا بد أن أفكر فى الموضوع لبضعة أيام ، ثم سأخبرك بما أفكر فيه •

أما المرأتان ، فكانتا نافذتا الصبر - كوكو لأنها كانت تريد الفضة ، ولوتس لأنه شئ جديد ، وهى تحتاج لشئ جديد يسليها ، ولكن وانج لانج أردف قائلاً :

- كلا ، انه ابنى ، وسأنتظر •

**ولكنه قال لكوكو فيما بعد :**

- فليكن كما قلت ، اذهبى الى تاجر الغلال ، ورتبى الزواج •

ورجعت كوكو بالأخبار ، فرغم أن الموضوع سار بشكل طيب الا أن التاجر ليو ، لا يرغب فى أن يحدث

أى شيء سوى تبادل الوعود ، لأن البنت صغيرة على  
الزواج ، فهي فى ربيعها الرابع عشر فقط . وعليهم أن  
ينتظروا ثلاث سنوات أخرى . وقلق وانج لانج لفكرة  
السنوات الثلاث هذه ، لتعطل الشاب ، وعدم استقراره .  
وجاءت أحد الأيام سحابة صغيرة من الجنوب ،  
وكانها جاءت لتشفيه من أفكاره المتعلقة مما بعسكر  
صفوة . وتعلقت فى البداية قرب الأفق لا تتحرك مثل  
السحاب الذى تدفعه الريح ، بل وقفت فى ثبات الى  
أن انتشرت على شكل مروحة فى الهواء . وأخذ رجال  
القرية يراقبونها ، والخوف يخيم عليهم ، لقد خافوا أن  
يكون الجراد قد جاء من الجنوب ليدمر ما قد زرعه فى  
حقولهم ، ووقف وانج لانج أيضا يراقب ويرتقب ،  
وأخيرا دفعت الريح بشيء ما الى أقدامهم ، فأنحنى أحد  
الرجال بسرعة ، والتقطها . . وكانت جرادة ميتة . .  
وعندئذ نسى وانج لانج كل ما يقلقه ، وركض بين  
القرويين الفزعين ، وصاح فيهم :

— والآن ! سنحارب هؤلاء الأعداء القادمين من

السموات !

فمنهم من هز رأسه يائسا من البداية وقال  
هؤلاء :

— كلا ، لا جدوى من فعل أى شئ . لقد أمرت  
السماء أن تتصور جوعا هذا العام ، فلماذا ننهك أنفسنا  
فى الصراع ضد ذلك ؟

وذهبت النساء الى البلدة ، لشراء البخور لحرقها  
امام آلهة الأرض فى المعبد الصغير . ولا يزال الجراد  
معلقا عاليا فى الهواء ، وفوق الأرض .

نادى وانج لانج عماله ، ووقف شينج من حلفه  
صامتا ومستعدا ! — وآخرون من بين الفلاحين الشباب .  
فأشعلوا النار بأيديهم فى بعض الحقول ، وأحرقوا القمح  
الطيب القائم منتظرا جنيه ، وحفروا مصارف عريضة ،  
وأجروا فيها الماء من الآبار . وعملوا بدون نوم .  
وأحضرت لهم النساء الطعام ، وأكله الرجال وهم واقفون  
فى الحقول ، يبتلعونه بسرعة ، كما تفعل الحيوانات .  
وزدادت السماء سوادا بعد ذلك ، وامتلا الهواء بالأزيز  
العميق الناعم للأجنحة العديدة التى تتخبط فى بعضها ،



وهبط الجراد على الأرض طائرا فوق أحد الحقول ويتركه دون مسه ، ويهبط على حقل آخر فيتركه أجرد لا خضرة فيه . . . وعندئذ يتنهّد بعض الرجال قائلين :  
- انها ارادة السماء !

لكن وانج لانج كان حانقا ، فاخذ يضرب في الجراد ، ويدوس عليه ، ورجاله يضربونه بالعصى ، فكان يسقط في النيران المشتعلة ، ويطفئ ميتا فوق مياه المصارف التي تم حفرها . . . ومات الكثير منه ، ولكن ذلك لا يعنى شيئا بالنسبة لسحابات الجراد الأخرى .

لكن وانج لانج حصل على مكافاته مقابل كفاحه -  
لقد أنقذ أفضل حقوله . فعندما تحركت سحب الجراد . واستطاع أن يرتاح ، كان لا يزال هناك قمح يمكن أن يجنيه ، كما أنقذ أيضا أحواض الأرز الصغيرة . . . وكان راضيا !

وجنى قمحه ، وجاءت الأمطار ، وتم زرع الأرز الصيفي في الحقول المغمورة بالماء وجاء الصيف مرة أخرى .

وفى يوما ما ، عندما أحس وانج لانج بالسلام فى منزله ، جاءه ابنه الاكبر عند عودته ظهرا فى الأرض ، وقال :

— أبى ، اذا كان على أن أكون رجلا متعلما ، فلا مدعاة للرجل العجوز بالبلدة أن يعلمنى .

وتردد ، ثم استمر قائلا :

— أحب أن أذهب جنوبا الى مدينة لأدخل مدرسة كبيرة ، حيث أستطيع أن أتعلم كل ما يجب تعلمه .

**فاجاب وانج لانج ابنه بحلة لسبب أوجاع جسمه بعد عمله فى الحقول :**

— ما هذا الكلام الفارغ ؟ أقول لا يمكن أن تذهب ، لقد تعلمت بما فيه الكفاية لهذا المكان !

لكن الشاب ظل واقفا ، ونظر الى أبيه فى كراهية ، وقال شيئا بعنف فى صوت منخفض ، وغضب وانج لانج لأنه لم يستطع سماع ما قاله ، لذلك صاح فى ابنه :

— أجهر بصوتك بما تريد قوله !

عندئذ فقد الشاب اعصابه على ضجة صوت ابيه

فصرخ :

- تمام ، اذن سوف اذهب ! سوف اذهب الى الجنوب ، ولن ابقى فى هذا البيت الغبى ، لكن تراقبونى الطفل ، وفى هذه البلدة الصغيرة التى ما هى الا قرية نافهه ! سأذهب وأنعلم شيئا ، وأرى اماكن اخرى !

تطلع وانج لانج الى ابنه وهو واقف هناك فى ردائه الرمادى الطويل الخفيف ، المناسب لحرارة الصيف ، وفوق شفته العليا تظهر الشعرات السوداء الاولى لسن الرجولة ، وكان جلده يبدو ناعما ذهبيا ، ويديه تحت أكمامه الطويلة ناعمتين ورقيقتين بيدي امرأة . ثم نظر وانج لانج الى نفسه . . كان ملطحا بطين الارض . . يرتدى ملابس قطنية زرقاء فقط ، والجزء العلوى من جسده كان عاريا . . وكان يبدو وكأنه خادم لابنه وليس ابيه . .

جعلته هذه الفكرة يحتقر الملامح الناعمة الجميلة للشباب الطويل ، وصاح قائلا :

- والآن ، اذن . . أخرج الى الحقول ، وادعك نفسك بقطعة صغيرة من الأرض الطيبة ، فالناس قد يخطئونك ويحسبونك امرأة . اعمل قليلا للأرز الذي تأكله !

نسى وانج لانج أنه يفتخر بكتابة ابنه ، وفي براعته في مسك الدفاتر ، وترك الحجرة في ضجة ، باصقا على الأرض بشكل بدائي ، لأن رقة ابنه قد أثارت حنقه . ووقف الشاب ، ونظر اليه بكراهية ، لكن وانج لانج لم ينظر خلفه ليرى ما يفعله ابنه .

وبعد ذلك لم يحدث أى شيء لعدة أيام ، وبدأ أن الولد أصبح راضيا ثانية ، ولكنه لم بعد يذهب الى المدرسة ، وسمح وانج لانج بذلك ، لأن الولد كان في الثامنة عشرة تقريبا ، وكان كبيرا مثل أمه ، وكان يقرأ في حجرته ، عندما عاد أبوه للمنزل .

### وفكر وانج لانج لنفسه :

- كانت نزوة شباب عابرة ، انه لا يعرف ما يريد ، بقي ثلاث سنوات فقط - وربما قليل من

لفضة تجعلها أقل . . وفى أحد هذه الأيام ، عندما ينتهى الحصاد ، ويبذر قمح الشتاء ، ويعزق الفول ، سوف أجد حلا لذلك .

أصبح وانج لانج قانما بحياته الآمنة ، والولد راض ، الى أن جلس منفردا فى وقت متأخر ذات مساء ، يحسب على أصابعه ، كم يستطيع أن يبيع من قمحه ، وأرزه ، عندما دخلت أو - لان الحجره برفق . لقد ازدادت نحافة مع مرور السنين ، وبرزت العظام من وجهها وأصبحت عينها غائرتين . وإذا سألها أحد عن حالها ، فكانت لا تقول أكثر من :

- « كان نارا قد اشتعلت داخلى » !

كانت تبدو فى الثلاث سنوات الاخيرة ، وكأنها ستجنب ، ومع ذلك لم يحدث . ولكنها لازالت تنهض مع ضوء النهار ، وتقوم بعملها - وأصبح وانج لانج يراها كما يرى مائدة أوكرسيا ، ليس أكثر ، لم يكن يلاحظها كما قد يلاحظ الثور الذى يمرض أو الخنزير الذى لا يريد أن يأكل .

وفى هذا المساء ، وقفت امامه وقالت :

- لدى أمر أريد قوله !

فنظر اليها بدهشة وقال :

- حسن ، قوله اذن !

وشاهد الظلال الغائرة فى وجهها ففكر ثانية بأنها  
لا تتمتع بأى جمال ، ولم يرغب فيها لمدة سنوات عديدة  
فقالت فى همس مزمجر :

- الابن الاكبر ، يذهب الى الجناح الداخلى كثيرا ..  
يذهب هناك عندما تكون خارجا .

لم يستطع وانج لانج فى البداية أن يفهم ما قالته ،  
ومال للأمام وفمه مفتوح ، وقال :

- ماذا يا امرأة ؟

فأشارت فى صمت الى حجرة ابنها ، ثم بعدئذ الى  
باب الجناح الداخلى . فنظر اليها غير مصدق ، ثم قال  
فى النهاية :

- انك تحلمين !

فهزت رأسها على ذلك ، فالكلام كان صعبا عليها ،  
ولكنها أضافت قائلة :

— حسن يا سيدى ، تعال فجأة الى البيت عندما  
لا يتوقعك أحد !

ثم أردفت بعد صمت :

— من الأفضل أن تبعدى الى الجنوب !

وذهبت فى صمت كما جاءت ، تاركة اياه جالسا  
فى دهشة • فقال لنفسه :

— حسن ، انها غيورة ، لا داعى أن ازعج نفسى  
بذلك ، فالولد راض ويقرأ كل يوم فى حجرته •

ونفض ، وطررد الفكرة ضاحكا على الأفكار  
السطحية • ولكنه تذكر فيما بعد أن ابنه لم يقل فى  
الآونة الأخيرة ، شيئا عن الذهاب ، بل كان قائما بالبقاء ،  
لماذا كان قائما ؟ فقال وانج لانج فى قلبه بشراسة :

— سوف أرى بنفسى !

وعندما جاء ضوء النهار ، صاح بصوت عال  
لعماله ، حتى يسمع من فى المنزل :

— سأذهب الى الأرض المجاورة لجدران البلدة ،  
وسأعود متأخرا .

وسار فى طريقه تجاه البلدة ، ولكنه ، عندما  
ذهب مسافة قليلة ، قفل راجعا الى منزله من طريق  
آخر ، ودخل المنزل سرا ، ووقف بجانب الستائر العلقـة  
على الباب المؤدى الى الجناح الداخلى ، فسمع صوتا  
منخفضا لرجل ، انه صوت ابنه !

ان الغضب الذى اشتعل فى قلب وانج لانج ، لم  
يعرفه من قبل فى حياته كلها ، فخرج وانتقى عصا  
رفيعة محنية من شجرة صغيرة ، ونزع الأفرع والأوراق  
منها ، ثم دخل برفق ، وازاح الستارة فجأة جانبا، فوجد  
ابنه واقفا فى الساحة ينظر الى لوتس التى تجلس على  
حافة البركة ، وكانت ترتدى رداء حريريا برتقالى  
اللون ، لم يشاهدها ترتديه فى الصباح مطلقا ، وكان  
الاثنان يتكلمان . والمرأة تضحك وتنظر الى الفتى



بطرف عينها ، وكانا ملتفتين الى الجهة الأخرى ، فلم  
يسمعا وانج لانج .

قفز بعد ذلك وانج لانج ، وهاجم ابنه ، وبالرغم  
من أن الفتى كان أطول ، إلا أن وانج لانج كان أقوى  
بسبب سنه ، وعمله القاسى فى الحقول ، وأخذ يضرب  
ابنه حتى نزف دمه ، وعندما صرخت لوتس وتعلقت  
بذراعه ، دفعها بعيدا عنه ، وعندما عادت ثانية ضربها  
هى أيضا حتى ولت هاربة ، واستمر فى ضرب الفتى  
الذى كوم نفسه على الأرض ، وغطى وجهه الممزق  
بيديه ، فالتقى بعصاه وهمس للولد :

- اذهب الآن الى حجرتك ، ولا تجرؤ على الخروج  
منها والا قتلتك !

نهض الولد بدون كلمة ، وذهب ، وجلس وانج  
لانج بجوار البركة واضعا رأسه بين يديه ، وأغمض  
عينيه ، وأصبح تنفسه ثقيلًا ، ولم يقترب منه أحد ،  
وظل حتى هدأ وذهب غضبه . وبعد ذلك نهض متثاقلا ،  
وعند مروره على غرفة ابنه صاح بدون أن يدخل :

- ضع أغراضك في صندوقك ، وغدا تذهب الى الجنوب لتفعل ما تشاء .

ومشى خارجا الى حقوله ، حيث كانت الشمس لازالت تصعد السماء ، ولكنه شعر بالتعب وكأنه عمل يوما كاملا .

وشعر وانج لانج ، عندما ذهب الابن الأكبر أن المنزل قد تحرر من مصدر ازعاج ، ووجد في ذلك راحة له ، وقرر أن يأخذ ابنه الثاني من المدرسه ويجعله يبدأ في حرفة ، ولا ينتظر مرحلة الشباب الخطرة لتحوله الى شيء سئ في المنزل ، مثلما كان الابن الأكبر .

كان الابن الثاني على نقيض الأكبر . كان قصيرا وخفيفا وأصفر البشرة ، له عينان حادثان ولسان حاد أيضا . وفكر وانج لانج :

- سيصبح هذا الولد تاجرا ناجحا ، سأخذه من المدرسة ، وأرى طريقة يتعلم بها العمل في سوق الغلال . . سيكون شيئا مريحا أن يكون لى ابن حيث أبيع محاصيل .

## لذلك قال لكوكو فى أحد الأيام :

— اذهبى الآن ، وأخبرى والد زوجة المستقبل  
لابنى الأكبر ، بأن لدى ما أريد قوله له . وسنشر  
كأساً من النبيذ سوياً على أية حال .

## فذهبت كوكو ، ورجعت تقول :

— سيراك متى تشاء ، وإذا أمكنك أن تأتى لتشرب  
معه النبيذ اليوم ، فمرحباً بك .

وهكذا اغتسل وانج لانج ، وارتدى رداءه  
الحريرى ، ومضى عبر الحقول . وذهب الى شارع الجسور  
كما أخبرته كوكو ، ووقف هناك أمام بوابة ، كانت  
بوابة كبيرة مشيدة من الخشب ، فطرق عليها بكف  
يده ، فانفتحت فى الحال ، ووقفت خادمة أمامه ،  
وأخذته الى غرفة ، فطلبت منه أن يستريح حتى تذهب  
وتنادى سيدها .

نظر وانج لانج حوله باهتمام ، ونهض وتحسس  
الستائر فى المدخل ، وتفحص خشب المنضدة ، انها

علامات حياة رغيدة ، لكن ليست ثراء عريضا . انه لا يريد زوجة ابن غنية ، فقد تكون مغرورة وغير مطيعة ، وتنشد الأطعمة والملابس الغالية وتبعد قلب ابنه عن والديه ، وجلس وانج لانج ثانية وانتظر .

وجاء صوت خطوات ثقيلة من الخارج ، ودخل رجل ضخيم، فنهض وانج لانج وانحنى الاثنان وكل منهما ينظر سرا للآخر . . . وارتاح كل منهما الى الآخر وجلسا سويا وشربا النبيذ الساخن الذى سكبته الخادمة لهما ، وتحدثا ببطء فى أمور شتى . . فى المحاصيل ، والأسعار ، والسعر الذى سيصل اليه الارز هذا العام ، اذا كان المحصول جيدا . وقال وانج لانج اخيرا :

— لقد خضرت بخصوص موضوع معين ، فاذا احببت دعنا نتكلم عن أشياء أخرى ، ولكن اذا احتجت الى خادم فى سوقك الكبير ، فلدى ابنى الثانى ، انه ولد ذكى ، لكن اذا كنت لست محتاجا اليه ، فدعنا نتكلم عن أمور أخرى .

**عندئذ قال التاجر بروح فكاهية طيبة جدا :**

– انى احتاج لمثل هذا الشاب الذكى ، اذا كان  
يقرا ويكتب .

### **فاجاب وانج لانج باعتراف :**

– يستطيع ولداى الاثنان أن يفعلا ذلك جيدا .

### **فقال ليو :**

– هذا طيب،دعه يأتى عندما يريد ، سيكون أجره  
فى البداية طعامه فقط ،حتى يتعلم العمل،ولأن اسرتينا  
متحدثان ، فلن أطلب نقودا مقابل الاتفاقية .

**ونفض وانج لانج فى غاية السرور ، وضحك ،**

### **وقال :**

– لدى ابن آخر عمره عشر سنوات لم أعد به  
أحدا بعد . كم عمر ابنتك ؟

– عمرها عشر سنين فى عيد ميلادها القادم هى  
زهرة جميلة .

**ثم ضحك الرجلان وقال التاجر :**

- هل سنربط أنفسنا سويا بحبل مزدوج ؟  
ولم يجب وانج لانج لأن ذلك لا يمكن مناقشته  
وجها لوجه أكثر من ذلك . وانحنى وذهب وهو يشعر  
بالكثير من السعادة .

وعندما عاد للبيت نظر الى ابنته الصغيرة ، كانت  
طفلة جميلة ، ولقد ربطت أمها قدميها جيدا ، ولذلك  
كانت تتحرك بخطوات صغيرة رشيقة . وعندما نظر  
اليها وانج لانج عن كثب رأى آثار دموع على وجهها .  
كانت شاحبة وقورة برغم سنها الصغير ، فسحبها اليه  
من يدها الصغيرة ، وقال :

- والآن ، لماذا كنت تبكين ؟

فأطرقت براسها ، واخذت تلعب برز على رداثها ،  
وقالت :

- لأن أمي تربط قماشها حول قدمي أكثر ضيقا  
كل يوم ، ولا أستطيع أن أنام بالليل .

- لم أسمعك تبكين من قبل !

- كلا ، قالت أمي اني لا يجب أن أبكي بصوت

عال ، لأنك رحيم وضعيف فلا تحب أن تسمعنى أتألم  
وقد تقول لها أن تتركنى كما أنا ، وعندئذ لن يحبني  
زوجي كما لا تحبها أنت .

قالت ذلك ببساطة طفلة تكرر قصة ، وانزعج  
وانج لانج عند سماعه ذلك . . ان أو - لان قد قالت  
للطفلة أنه لا يحبها ، وهي أم الطفلة . فقال لها بهدوء :

- حسن ، اليوم سمعت عن زوج جميل لك ،  
وسوف نرى اذا كانت كوكو تستطيع ترتيب الأمر .

فابتسمت الطفلة وأخفضت رأسها وكأنها شابة  
وليسست طفلة . وقال وانج لانج لكوكو فى نفس المساء  
عندما كان فى الجناح الداخلى ، لترى اذا كان ذلك يمكن  
اتباعه . ونام بسهولة بجانب لوتس تلك الليلة .  
واستيقظ وبدأ يفكر فى حياته ، وكيف كانت أو - لان  
المرأة الأولى التى عرفها ، وكيف كانت خادمة  
مخلصة بجواره دائما . . وفكر فيما قالته الطفلة ،  
فشعر بالحزن لان أو - لان بكل غباثتها رأت الحقيقة  
فيه .

وأرسل بعده ذلك فوراً ابنه الثانى الى البلدة ،  
ووقع الأوراق الخاصة بزواج البنت الثانية ، وتم تحديد  
الهدايا والملابس والمجوهرات ليوم زواجها ، ثم فكر :

- حسن ، والآن تم تدبير أمور أطفالى ، وبلهائى  
المسكينة لا نستطيع أن تفعل شيئاً سوى أن تجلس فى  
الشمس مع قطعه فماشها وابتسامتها .. أما الولد  
الأصغر ، فسأبقيه فى الأرض .. لن يذهب الى المدرسة ،  
طالما يستطيع اثنان من أبنائى القراءة فهذا يكفى ..

وكان فخوراً لأن لديه ثلاثة أبناء . واحد منهم  
يدرس وآخر تاجر لا مزارع .. وتوقف عن القلق على  
أطفاله . ولكن سواء أراد أم لم يرد ، جاء فى خاطره  
المرأة التى حملتهم له . ولأول مرة فى جميع سنواته  
معها بدأ وانج لانج يفكر بخصوص أو - لان . نظر اليها  
باحساس مذنب غريب ، لقد لاحظ أنها ازدادت نحافة  
وأصبحت بشرتها صفراء وجافة . والآن ، حيث فكر  
فيها ، تذكر أنه كان يسمعها أحياناً تبكى عندما تنهض  
من فراشها ، أو عندما تنحنى لتشعل المسوقد ،  
وعندما يسأل :



- حسن ، ما هذا ؟

لكانت تتوقف فجأة . . والآن ، ينظر اليها ، والى التورمات القريبة التى لديها فى جسمها فيمتلىء بالاحساس بالذنب ، برغم أنه لا يعرف لماذا ! وأخذ يجادل نفسه :

- اننى لم أضربها ، ولقد أعطيتها الفضة عندما طلبت . .

لكنه لا يستطيع أن ينسى ما قالتها الطفلة . لقد ازعجته رغم أنه لا يعرف لماذا ، طالما أنه عندما يحاول تفنيد الموضوع يجد نفسه دائما زوجا طيبا نحوها ، أفضل من كثيرين .

ولكن لأنه لا يستطيع التخلص من هذا الشعور نحوها ، ظل ينظر اليها وهى تحضر الطعام أو وهى تتحرك فى المنزل . وعندما انحنت لتكنس البلاط يوما ما رأى وجهها يتحول الى اللون الرمادى مع آلام داخلية، وفتحت شفيتها وتنفست بثقل ، ووضعت يدها على معدتها ، رغم أنها لا زالت منحنية لتكنس .

فسألها بحدة :

— ما هذا ؟

— ولكنها أدارت وجهها واجابت بانكسار :

— انه مجرد الألم القديم داخلى .

فنظر بتحجر اليها ، وقال لابنته الصغرى :

— خذى الفرشاة واكنسى لأن أمك مريضة !

قال لاو — لان بشفقة أكثرهما حدثها به لسنين

طويلة :

— ادخلى وارقدى على فراشك ، سأخبر البنت ان

تحضر لك ماء ساخنا !

وأطاعته ببسطء بدون أن تجيب ، وذهبت الى

حجرتها ، وسمع حركتها الثقيلة فيها . ورقدت أخيرا

وبدأت تبكى برفق ، وجلس مستمعا الى أن فقد القدرة

على التحمل أكثر ، فنهض وذهب الى البلدة ليسأل عن

طبيب ..

أشار عليه كاتب فى محل تاجر الحلال - حيث  
يعمل ابنه الثانى حاليا - الى مكانه . . كان الطبيب  
يجلس هناك متراخيا بجانب طاسة شاي ، كان رجلا  
عجوزا له لحية طويلة رمادية ، ونظارة كبيرة ، ويرتدى  
رداء رماديا متسخا ، وتغطى أكمامه الواسعة كل يديه .  
وعندما أخبره وانج لانج عن أعراض مرض زوجته ، ظهر  
بمظهر التشكك وفتح درج المنضدة التى يجلس عليها ،  
وأخرج حزمة ملفوفة فى قماش أسود . .

وعندما جاء الى فراش أو - لان كانت قد غفت  
فى نوم خفيف ، وكانت هناك حبات من العرق على  
شفتها العليا . فهز الطبيب العجوز رأسه عند رؤية  
ذلك ، ومد يدا جافة صفراء كيد قرد ، وأمسك برسغها ،  
وبعد فترة طويلة هز رأسه ثانية بوقار ، وقال :

- انها حالة صعبة . اذا كنت لا تتوقع وعدا  
بعلاج معين ، فسأطلب عشر قطع من الفضة ، وسأعطيك  
دواء مصنوعا من النباتات ، ومن قلب حيوان مفترس ،  
وسن كلب . أجعلها تشربه . . ولكن اذا أردتني أن  
أعدك بعلاج كامل فسأطلب خمسمائة قطعة من الفضة .

وعندما سمعت أو - لان كلمات « خمسمائة قطعة  
من الفضة ، تنبعت فجأة من نومها ، وقالت بضعف :  
- كلا ، ان حياتى لا تستحق هذا القدر .. انه  
ثم قطعة أرض ممتازة !

وعندما سمعها وانج لانج تقول ذلك وخزه  
احساسه القديم بالذنب وقال بعنف :

- لن يكون عندى وفاة فى منزلى ! أستطيع دفع  
الفضة . وللمسحمة الطبيب العجوز يقول « أستطيع دفع  
الفضة » برقت عيناه بجشع ، ولكنه كان يعرف عقاب  
القانون اذا لم يحافظ على كلمته ، وماتت المرأة ،  
لذلك قال فى اسف :

- كلا ، عندما نظرت الى لون بياض عينيها ، رايت  
اننى كنت مخطئا ، يجب أن أحصل على خمسة آلاف  
قطعة فضية اذا وعدت بعلاج كامل .

نظر وانج لانج عندئذ الى الطبيب فى صمت ،  
وفهم ، فليس لديه هذا العدد من الفضة فى العالم ،

الا اذا باع أرضه ، ولكنه كان يعرف أنه حتى لو باع  
أرضه ، فلن تكون ذات فائدة ، وكان الطبيب قال :  
« المرأة ستموت » !

ولذلك خرج مع الطبيب ودفع له عشر قطع من  
الفضة للدواء . وعندما غادر الطبيب ، دخل وانج لانج  
الى المطبخ المظلم حيث عاشت أو - لان معظم حياتها .  
والآن حيث انها ليست فيه ، فلن يراه أحد ، وأدار  
وجهه الى الجدار المسود ، وبكى دموعا مرة .



## الفصل التاسع

---

ولكن ليس هناك نهاية فجائية للحياة فى جسد  
أو - لان ، لأنها قد تجاوزت بالكاد منتصف العمر .  
ورقدت تموت على فراشها لعدة شهور طوال  
الشتاء الطويل ، ولأول مرة عرف وانج لانج واولاده  
ما فعلته بالمنزل . لقد حققت الراحة لهم جميعا وهم  
لا يعرفون ، وتبين لهم الآن أن أحدا منهم لا يعرف كيف  
يشعل العشب ويحتفظ به مشتعلا فى الفرن . . ولا  
أحد يعرف كيف يقلب سمكة دون أن يقطعها . . ولا  
أحد يعرف فى أى زيت يحمر هذا الطعام أو ذاك .  
وقدم الولد الأصغر مع جده العجوز أفضل ما لديه

ليؤدي عمل أمه ، أما البلهاء المسكينة فلا تدرى شيئا ، ولكنها تبتسم فقط وتلوى بقطعة قماشها وهي تبتسم ، ولا بد أن يفكر أحد فيها ليدخلها لتنام بالليل ويطعمها ويجلسها في الشمس ويقودها الى الداخل اذا أمطرت ، وتركوها ذات مرة في الخارج طوال ليلة كاملة وأصبحت البنت المسكينة في الصباح التالي ترتعش وتبكي ، وغضب وانج لانج ، وسب ابنه وابنته لأنهما نسيا أمهم البلهاء المسكينة التي هي أختهم ، ثم أدرك أنهم مجرد أطفال يحاولون ملء مكانة أمهم ولكن هيهات . . وبعد هذا الحادث أخذ يعتنى بالبلهاء المسكينة بنفسه مساء وصباحا .

لم يلتفت وانج لانج للأرض طوال اشهر الشتاء عندما كانت أو - لان راقدة تحتضر وترك شغل الشتاء وإدارة الرجال لشينج الذي عمل باخلاص . وغالبا ما كان يجلس بجانب فراش أو - لان ، فاذا كانت تشعر بالبرد يتسلل نارا صغيرة ، ولكنها كانت تقول كل مرة :

- لا داعي للتكاليف !



وأخيرا ، عندما قالت ذلك فى أحد الأيام ، انفجر  
قائلا :

- لا أستطيع تحمل ذلك ! سأبيع كل الأرض إذا  
كانت تشغيك .

**فابتسمت على ذلك وهمست بآلم :**

- كلا . . . لن أدعك تفعل ، لأننى يجب أن أموت -  
يوما ما - على أية حال ، ولكن الأرض ستبقى من بعدى . .

ولم يتكلم عن الموت ، ونهض وخرج من الحجرة  
عندما تكلمت هى عنه . ومع ذلك ، لأنه يعرف أنها  
ستموت حتما وأنه يجب أن يتذكر واجبه ، فذهب فى  
يوم ما الى البلدة قاصدا محل صانع الثوابيت . وقلب  
فى كل تابوت معروض للبيع، واختار أفضلها وهو تابوت  
أسود مصنوع من خشب ثقيل وجامد . وعندئذ قال  
**صانع الثوابيت ببراعة :**

- اذا أخذت اثنين فسيكون السعر أقل ، لماذا  
لا تشتري واحدا لنفسك !

## فاجاب وانج لانج :

- كلا ، فأبنائي يمكن أن يفعلوا ذلك من أجل .  
ثم فكر في أبيه ، فليس لديه تابوت بعد للرجل  
الكبير ، وجاءته الفكرة :

- لكن هناك أبي العجوز ! سيموت في يوم ما  
قريبا ، فساقاه بالكاد تحملانه ، كما أنه أصم وشبه  
أعمى . لذلك سأخذ اثنين .

وعده الرجل أن يصبح كلا من التابوتين ثانية  
باللون الأسود الجيد ، ويرسلهما الى منزل وانج لانج .  
ولقد أخبر وانج لانج أو - لان بما فعل . فسرت بأنه  
فعل ذلك وجهزها جيدا لوفاتها .

كان يجلس بجوارها ساعات عديدة كل يوم . لم  
يتكلم كثيرا ، لأنها كانت ضعيفة ، بالإضافة الى أنه  
لم يكن بينهما حديث مطلقا . وبدأت تنسى أين هي !  
وتهمس أحيانا بطفولتها ، ولأول مرة يرى وانج لانج  
بما بداخل قلبها ، رغم أنه كان من خلال كلمات قصيرة  
فقط مثل هذه :

- « سأحضر الطعام الى الباب فقط » .. « أعرف جيداً أنني قبيحة ولا أستطيع الظهور أمام السيد الكبير » .. !

وقالت :

- لا تضربيني .. لن أكل من الطبق مرة ثانية !!  
وقالت مرات ومرات :

- أبى .. أمى .. أبى .. أمى .. !!

و

« أعرف جيداً أنني قبيحة ولا يمكن أن يحبني أحد » .. !

وعندما قالت ذلك لم يتحمل وائح لانج ، فأخذ يدها وقبض عليها .. يدا كبيرة جامدة متحجرة وكأنها ماتت من قبل .. وأخذ يتعجب فى نفسه قبل كل شئ لأن ما قالته كان حقيقياً . كان خجلاً ، حتى عندما أخذ يدها ، راغباً بصدق أن يشعر بالحنان نحوها ، لأنه لا يستطيع أن يشعر بالحنان ولا بدوبان القلب مثلما تفوز به لوتس بحركة من شفتيها : وبسبب ذلك كان

عطوفا أكثر عليها ، واشترى لها أطعمة خاصة وأنواعا من الحساء الشهي المصنوع من السمك الأبيض وقلوب الكرنب الصغير .

وكانت تأتي أوقات تعود فيها أو - لان لنفسها وتعنى ما يحدث من حولها ، وسألت ذات مرة عن كوكو وعندما نادى وانج لانج المرأة فى دهشة غريبة رفعت أو - لان نفسها من على فراشها واستندت على ذراع مرتعشة ، وقالت بصراحة كافية :

- حسن ، لقد عشت فى بلاط السيد الكبير وكنت تعتبرين جميلة ، لكننى أصبحت زوجة رجل وأنجبت له أبناء - وما زلت أنت عبدة .

وعندما حاولت كوكو أن نجيب بحق على ذلك ، أوقفها وانج لانج ، وقادها الى الخارج قائلا :

- انها لا تعرف معنى الكلمات الآن .

وعندما عاد الى الحجرة كانت أو - لان لا تزال تسند رأسها على ذراعها وقالت له :

- بعد ما أموت فلا تدخل مى ولا سيدتها حجرنى

أو تلمس أغراضى ، وإذا فصلا ، فسارسل روى  
لتلعنهما .

وفى يوم ما قبل السنة الجديدة تحسنت فجأة .  
تماما مثلما تحترق الشعلة بتوهج قبل ما تخبو مباشرة .  
وجلست فى الفراش ، وضفرت شعرها بنفسها ، وطلبت  
شايًا لتشربه ، وقالت : والآن السنة الجديدة قادمة ،  
ولا يوجد كعك جاهز ! .. لقد فكرت فى شيء ، لكن  
ابق على هذه العبة فى مطبخى . وابعث الى البنت  
الموعودة لابنتا الأكبر . لم أرها بعد ، ولكنها عندها  
تأتى سأخبرها بما تفعل .

كان ليو تاجر الغلال راغبا ومقدرا كم كانت الحالة  
محزنة ، وعلى كل كانت البنت فى السادسة عشرة من  
العمر - أكبر من بعضهن اللاتي يذهبن الى منازل  
أزواجهن ، وجاءت البنت مع خادم عجوز بقيت معها  
لتساعدها .. ولم يتكلم وانج لانج مع البنت حيث لم  
يكن ذلك مناسباً . ولكنه كان يحنى رأسه بوفار عندما  
تنحنى له . وسر بها لأنها تعرف واجبها وتتحرك فى  
المنزل بهدوء وبعيون خافتة . وكانت حريصة وصائبة

فى كل سلوكها • ودخلت أو - لان واعتنت بها •  
وخفف ذلك من أسف وانج لانج على زوجته . فالآن  
توجد فتاة حول فراشها ، وأو - لان راضية تماما !

ثم فكرت فى شىء آخر ، وقالت لوانج لانج عندما  
دخل فى الصباح :

- هناك شىء آخر يجب عمله قبل أن أموت •

فاجاب على ذلك بعنق :

- لا يمكن أن تتكلمى عن الموت وترضىينى !

فابتسمت ببطء واجابت :

- يجب أن أموت •• اننى أشعر به داخلى ، ولكننى  
لن أموت حتى يعود ابنى الأكبر ، ويتزوج هذه البنت  
الطيبة • أريد أن يأتى ابنى الى البيت ، لأننى يجب  
أن أموت بسهولة ، مدركة أن حفيدك يتحرك الى الحياة  
كانت هذه كلمات كثيرة بالنسبة لها فى أى وقت  
حتى عندما كانت فى صحتها ، وقالتها بقوة أكثر مما

قالته فى عدة شهور ، وابتهج وانج لانج للقوة فى صوتها  
وقال لها من غير ابطاء :

- حسن ، سنفعل ذلك . سأرسل اليوم رجلا  
الى الجنوب لىبحث عن ابنى ويحضره للبيت ليتزوج  
وعندئذ تعدينى بأنك ستجمعين قواك وتتحسنين ، لأن  
المنزل أشبه بكهف للحيوانات بدونك .

قال ذلك ليدخل السرور عليها ، وأسرها ذلك  
بالفعل رغم أنها لم تتكلم ، بل اضطجعت ، وأغلقت  
عينها مبتسمة قليلا .

وأخبر وانج لانج كوكو أن تهىء وليمة ، وعليها  
أن تحضر طبّاخين من البلدة لمساعدتها ، وسكب الفضة  
فى يديها وقال :

- اعدلى ما تقوم به البيوتات الكبيرة فى مثل  
هذه المناسبات . ولك فضة أكثر من ذلك !

وذهب الى القرية ودعا الضيوف ، ودخل البلدة ،  
ودعا كل شخص يعرفه فى محل الشاى ، وسوق

الغلال ، واخبر عمه أن يدعو أيا من أصدقائه ، وأصدقاء  
ابنه .

وجاء ابنه الأكبر للبيت فى الليلة السابقة  
للزواج ، ومرت أكثر من سنتين منذ آخر مرة رأى  
فيها هذا الابن ، وها هو . . لم يعد صبيا ، بل رجلا  
طويلا ، قوى البنية له جسم متين ووجه أحمر مشرق  
وشعر أسود قصير لامع . . كان يرتدى رداء حريريا  
أحمر غامقا طويلا مثل المروض فى محلات الجنوب ،  
ورداء أسود قصيرا من فوقه ، فتفجر قلب وانج لانج  
فخرا وهو يرى ابنه . . وقاده الى فراش أمه ، فوقفت  
الدموع فى عيني ابنه عند رؤيتها . لكنه كان يقول  
ما يبهج فقط مثل :

» انك تبدين أفضل مرتين مما يقولون ، وبعيدة  
عن الموت بسنين طويلة ، !

**ولكن او - لان كانت تقول ببساطة :**

- سأراك متزوجا ثم عندئذ يجب ان أموت !



والآن ، يجب بالطبع على البنت التي ستتزوج  
ألا يراها الشاب ، لذلك أخذتها لوتس الى الجناح  
الداخلي لتجهيزها للزواج . ولا يستطيع أحد عمل ذلك  
أفضل من لوتس ، وكوكو ، وزوجة عم وانج لانج .  
فأخذنها ثلاثتهن صباح يوم زفافها وغسلن جسمها  
ودلكت لوتس بدنهما بزيوت حلوة الرائحة ، ثم قمن  
بتزيينها بالبودرة والطلاء الأحمر ، ورسمن بالفرشاة  
حاجبيها بخطين رفيعين ، ووضعن على رأسها تاجا  
وخمارا ، والبسنها حذاء ملونا في قدميها الصغيرتين .  
ووضعن عطرا على أطراف أصابعها . وهكذا أصبحت  
العروس جاهزة للزواج . . كانت الفتاة راغبة في كل  
شيء بدون تلهف ، وهذا هو الصواب .

انتظر وانج لانج ، وزوجه وأبوه والضيوف في  
الحجرة الوسطى، وجاءت الفتاة الصغيرة تسندها عيبتها  
وزوجة عم وانج لانج . وجاءت بتواضع وبطريقة صحيحة  
ومشت ورأسها محنى ، وكأنها غير راغبة في الزواج  
وعليهم أن يساعدها على ذلك . ويظهر هذا تواضعها  
الكبير ، ولقد سر وانج لانج وقال لنفسه :

- انها فتاة مناسبة .

ثم دخل ابن وانج لانج الاكبر مرتديا ملابس حمراء وسوداء ، وكان شعره ناعما ، ووجهه محلوفا . ثم جاء أخواه الاثنان من خلفه . . وأحس وانج لانج وكأنه يكاد ينفجر فخرا على موكب أبنائه الذين عليهم أن يكملوا حياة جده من بعده . . وأدرك الرجل الكبير عندئذ فجأة ما كان يحدث - وهو ما لم يكن يفهمه - واستطاع أن يسمع أجزاء قليلة مما يقال له بصوت مرتفع ، فأخذ يصرخ بضحكات مشروخة . ويقول مرارا ومرارا بصوته الرقيق العجوز :

- عندنا زواج ! والزواج يعنى أطفالا وأحفادا !!

وضحك من أعماق قلبه ، حتى أن الضيوف جميعهم ضحكوا أيضا على فرحه ، وتخيل وانج لانج لو كانت أو - لان تنهض فقط من فراشها ، لكان يوما سعيدا .

وكان وانج لانج ينظر سرا وبحدة الى ابنه طول الوقت ليرى اذا كان ينظر الى الفتاة . فرآه يختلس



زواج الابن الاكبر لوانج لانج .

النظر اليها من طرف عينه ، وازداد مرحا في سلوكه  
لذلك قال وانج لانج لنفسه بفخر :

- حسن ، لقد اخترت له واحدة يحبها !

وبعد ذلك ، انحنى كل من الشاب والفتاة للرجل  
الكبير ولوانج لانج ، وذهبا الى الحجرة التي ترقد فيها  
أو - لان .. واقتربا منها ، وانحنيا لها .. فوضعت  
يدها على الفراش وقالت :

- اجلسا هنا ، واشربا النبيذ ، وكلا ارز  
زواجكما ، لأننى يجب أن أرى ذلك . وهذا سيكون  
فراش زواجكما ، حيث اننى سأنتهى منه قريبا .

لم يجيبها أحد عندما قالت ذلك ، وجلس الاثنان  
بجانب بعضهما فى سكون ، ودخلت زوجة عم  
وانج لانج سميئة وتظهر بمظهر الشخص المهم بسبب  
المناسبة وتحمل طاستين من النبيذ الساخن ، فشرب  
الاثنان منفردين ثم خلطا نبيذ الطاستين وشربا ثانية ،  
وهى اشارة بأن الاثنين أصبحا واحدا الآن . وأكلا

أرزا ثم خلطاه ، وهذه أيضا كانت اشارة بأن حياتهما  
قد اتحدتا ، وهكذا تزوجا . ثم انحنيا ثانية الى  
أو - لان وإلى وانج لانج وخرجا ، وانحنيا سويا الى  
الضيوف .

وبدأت بعد ذلك الوليمة . لقد امتلأت الحجرات  
والساحات بالموائد وبرائحة الطبخ ، وبصوت  
الضحكات ، وأكل كل واحد أكثر وأكثر وشرب كل  
ما يقدر عليه ، وكانوا جميعهم فرحين جدا .

وأرادت أو - لان أن تبقى جميع الأبواب مفتوحة  
حتى تستطيع أن تسمع الضجة والضحك ، وتستطيع  
أن تشم الطعام . وكانت تقول وتكرر القول لوانج لانج  
الذى كان يدخل دائما ليراها :

- هل أخذ كل شخص نبيذا ؟ هل طبق الأرز  
الحلو فى منتصف الوليمة ساخن جدا ؟ !

هل وضعوا فيه كثيرا من السكر ، والفواكه  
الثمانية ؟ !

وعندما أخبرها بأن كل شيء كما كانت ترغب ،  
ارتاحت ووقدت سعيدة ٠٠

وأخيرا انتهى كل شيء ، وذهب الضيوف ، وجاء  
الليل بالسكون فى المنزل ، وأتت نهاية البهجة والقوة  
فى أو - لان ، وازدادت تعباً وإرهاقاً ، ونادت إليها  
العروسين وقالت لهما :

- والآن ، أنا راضية . اعتن يا بنى بأبيك  
وبجدك ٠٠ ويا بنيتى اعتنى بزوجك وبحماك وجد  
زوجك ، اعتنى بالبلهاء المسكينة ، وليس عليك أى  
واجب تجاه أى أحد آخر .

كانت تعنى بذلك لوتس ، التى لم تكلمها مطلقاً ،  
ثم بدت أنها سقطت فى نوم خفيف ، وتكلمت مرة  
أخرى ، ولكنها لم تكن تعرف أنهما بجانبها ، أو أين  
هى فى الحقيقة ٠٠ لأنها قالت وهى تدير وجهها الى  
هذا الجانب وإلى ذاك الجانب وعينيها مغلقتين :

- حسن ، ان كنت قبيحة فمع ذلك أنجبت ابناً ،  
رغم كونى مجرد عبدة حتى يوجد ابن فى المنزل ٠٠

## ثم قالت ثانية فجأة :

- كيف ستطعمه هذه وتهتم به كما أفعل ؟

الجمال • لا ينبج للرجل أبناء !

عندئذ أشار وانج لانج لهما بأن يذهبا ، وجلس بجوارها ، وأثناء مراقبته لها فتحت عينيها فى اتساع ، ونظرت بصلافة اليه ، مثبتة عينيها عليه ، وكأنها تتساءل من هو ، ثم سقط رأسها فجأة للخلف ، وماتت !

كان وانج لانج مهتما أن يفعل كل شئ يجب فعله للميت • فقام بتفصيل ملابس بيضاء له ولأولاده ، وصنعت أحذيتهم من مادة خشنة بيضاء ، ولفوا حول أرجلهم شرائط من قماش أبيض ، وربطت النساء فى المنزل شعورهن بالأبيض ، ولكن ، وكان الموت لا يمكن مغادرة المنزل الذى أتاه مرة بسهولة ، اذ رقد الجد الكبير على فراشه فى احدى الليالى لينام ، وعندما جاءت البنت الثانية اليه فى الصباح وجدته يرقد على فراشه وذقنه العجوز الرفيع متجهها الى أعلى فى

الهواء ، ورأسه ملقى للخلف فى الموت . فركضت  
صارخة لأبيها ، وجاء وانج لانج ، ووجد الرجل العجوز  
كما قالت .

ففسل الرجل العجوز بنفسه ، وأرقده بلطف  
فى التابوت الذى اشتراه له ، وأغلقه عليه ، وقال :

- سندفن هذين الميتين من أسرتنا ، سأخذ  
قطعة طيبة من أرض عالية ، وندفنها هناك سويا ،  
وعندما أموت سوف أرقد هناك أيضا .

واختار مكانا طيبا فى حقوله تحت شجرة على  
تل ، وحفر شينج المقابر وشيد جدارا ترابيا حولها ،  
وكانت توجد مساحة داخل الجدار لجسد وانج لانج  
ولكل واحد من أبنائه وزوجاتهم ، كما توجد مساحة  
لأبناء الأبناء أيضا . ولم يعبا وانج لانج بأنها أرض  
عالية وصالحة لزراعة القمح ، لأن ذلك علامة على أن  
أسرته مستقرة الحال على الأرض موتا أو حياة ..  
يرتاحون جميعا على صدر أرضهم .

وفى اليوم المحدد للجنائز عندما استعد الكهان ،



طلب وانج لانج كراسى من البلدة حيث لم يكن مناسباً أن يمشى الى محل الدفن كشخص عادى ورجل فقير ، وهكذا ركب لأول مرة على أكتاف الرجال ، واستأجر كراسى أيضاً لعمه ، وزوجة عمه وابنه وللجميع ، وذهبوا الى المقابر باكين بصوت مرتفع . بينما كان العمال وشينج يمشون فى الخلف مرتدين الاحذية البيضاء .

وعندما وقف وانج لانج بجانب القبرين ، كان أسفه شديداً وجافاً ، فلم يستطع أن يبكى كما فعل الآخرون . لم تكن هناك دموع فى عينيه ، حيث بدا له ما حدث قد حدث ولا يوجد غير ذلك ليقوم به ، فلقد فعل كل شيء . ولكن ، عندما غطيت القبور بالتراب ، ومهدت الأرض ، استدار فى صمت ، وأعاد الكراسى . وعاد للبيت بمفرده ماشياً .

وبرزت من خلال أسفه فكرة واحدة آلتها بشكل غريب . تمنى لو أنه لم يأخذ اللؤلؤتين من أو - لان ذلك اليوم ، عندما كانت تفصل ملابسه عند البركة ا

واستمر وحيدا هكذا يفكر فى حزن ويقول  
لنفسه :

- هناك فى هذه الأرض التابعة لى ، دفن النصف  
الأول الطيب للحياة • انه نصفى مدفون هناك ، والآن  
• ستصبح الحياة مختلفة فى منزلى • وفجأة بكى  
قليلًا ، ثم جفف عينيه بظهر يده ، كما يفعل الطفل !

## الفصل العاشر

---

وطوال تلك المدة ، لم يشغل وانج لانج فكره  
بالأرض والمحاصيل ، حيث كان مشغولا بحفل الزواج  
ثم بدفن أهل منزله ، وجاءه شينج في يوم ، وقال :

- والآن ، وبعد أن مرت الافراح والاتراح ، على  
أن أخبرك عن الأرض ، وادعو السماء ان تمنح ما أقول  
اذ يبدو أنه سيحدث فيضان هذا العام لم يحدث مثله  
من قبل ، لان الماء يرتفع رغم ان الصيف لم يأت بعد ،  
والوقت مازال مبكرا ليأتي بهذا الشكل .

**فقال وانج لانج فى لهفة :**

— فلنذهب لنرى الأرض !

كان شينج رجلا بسيطا ، ومهما كانت الأزمان  
سيئة ، فلا يتجاسر ان يشكو ضد السماء ، كما يفعل  
وانج لانج ، لذلك قال فقط :

— هذه ارادة السماء !

وتقبل الفيضان والكارثة بانكسار ، اما وانج  
لانج فلا . . . خرج الى أرضه وتفقده هذه القطعة وتلك ،  
ورأى أنها كما ذكر شينج . . . كانت الترع كالأنهار  
تجرى بسرعة ومليئة . حتى الأبله يمكنه ان يدرك ان  
فيضاننا رهيبا سيحدث هذا العام ، ويموت الرجال  
والنساء ثانية ، هذا رغم ان أمطار الصيف لم تأت بعد .  
ونظر الى الترع ومياها الطافحة على ضفافها ، وأخذ  
يلعن كل شيء !

ولأن وانج لانج قد أصبح الآن غنيا ، فهو لا يبالي  
بأي شيء ، يفضب كيفما يشاء . وأخذ يشكو وهو

يمشى تجاه البيت ويفكر فى الماء الذى سيفيض فوق أرضه وفوق محاصيله الممتازة .

ثم حدث كل ما قاله شينج ، فاض النهر الشمالى من بين ضفتيه ، وحطم جسوره الترابية ، فلا يستطيع أحد الآن أن يعرف أين كانت تلك الجسور الممتدة على طول البلاد . . . لقد فاض النهر ، تدفقت مياهه كأمواج البحر فوق جميع الارض الزراعية الطيبة ، وأصبح القمح والارز الصغير فى قاع هذا البحر ، وأصبحت القرى جزرا ، واحدة تلو الاخرى ، واخذ الناس يراقبون ويترقبون المياه وهى ترتفع ، وعندما أصبحت على مسافة قدمين من ابوابهم ، حزموا موائدهم وفرشهم وربطوا أبواب منازلهم فيها ، ثم كرموا فوقها ما يقدرون عليه من أغراض مع نسائهم وأطفالهم أيضا . وارتفعت المياه داخل المنازل الترابية فتصدعت جدرانها وانهارت متباعدة ، وذابت غائصة فى الماء . . . وأصبحت وكأنها لم تكن من قبل !

وعندئذ اجتذب الماء الذى على الارض ماء السماء . . . فأخذت تمطر يوما بعد يوم . وجلس وانج لانج

بجانب بابه ، ونظر من فوق المياه . كانت بعيدة تماما عن منزله الذى بناه على التل ، لكنه رأى المياه وهى تغطى أرضه . . . ولن تكون هناك أية محاصيل من أى نوع لذلك العام . وبدأت الناس تموت فى كل مكان أو يتضورون جوعا . وكانوا حائقين لما حدث لهم ثانية . والتحق بعض الجسورين وغير العابثين بما يفعلون بعصابات اللصوص الذين انتشروا فى كل مكان وذهب البعض جنوبا ليعمل أو يتسول ، كما ذهب وانج لانج مع عائلته ذات مرة ، وهناك آخرون كانوا كبارا فى السن ، متعبين ، وليس لهم أبناء مثل شينج فبقوا وأكلوا العشب وأية اوراق يجدونها عند الاماكن العالية ، وكثيرون منهم ماتوا جوعى . .

وأدرك وانج لانج عندئذ ، أن هناك أوقات عصيبة لم يشاهد مثلها فى الارض . اذ لم تنحسر المياه مع وقت الزراعة الشتوية للقمح ، ومعنى ذلك أنه لن يوجد محصول للعام الثانى .

لذلك أخذ يتصرف بحرص فى ادارة شئون المنزل وفى استخدام ماله وطعامه ولكن الناس من حوله كانت

تموت جوعاً • وكان يعلم أن هناك كثيرين يكرهونه  
لأن لديه بعض الشيء ليأكله ويطعم أولاده • لذلك  
احتفظ ببواباته مغلقة بالملزاج ، ولم يدع أحدا يدخل  
إلى بيته دون أن يكون من الأشخاص المعروفين ••

وعندما مر الشتاء وكان بطيئاً ، وانحسرت المياه  
استطاع وانج لانج أن يسير حول أرضه ، فحدث يوم ما  
أن تبعه ابنه الأكبر وقال له بافتخار :

— حسن ، سيأتى فم آخر بالمنزل — فم حفيدك !

فلما سمع وانج لانج ذلك التفت وضحك وقال  
وهو يدعك يديه :

— إنه يوم طيب حقاً ؟

وضحك ثانية وذهب يبحث عن شينج ، وأخبره  
أن يذهب إلى البلدة ليشتري بعض السمك والطعام الجيد  
•• وأرسله لزوجته ابنه قائلاً :

— بكلى •• واجعلى جسم حفيدى قويا !

كان علمه بذلك مدعاة لراحة له طوال الربيع . .  
 وعندما انقضى الربيع وحل الصيف ، عاد الناس الذين  
 ذهبوا بسبب الفيضانات مرة ثانية ، برغم أنه لم  
 يعد يوجد أى أثر لمنازلهم حاليا سوى الطين الأصفر  
 المتخلف عن الأرض الفارقة ، ومع ذلك فمازال من  
 الممكن إقامة المنازل ثانية من هذا الطين ويمكن شراء  
 الحصير لتسقيفها . . وجاء رجال كثيرون ليقترضوا  
 المال من وائج لانج وأقرضهم بفائدة مرتفعة مستغلا  
 زيادة الطلب على نقوده . . وزرعوا الحبوب بالنقود  
 التى اقتترضوها ، فى الأرض التى أصبحت غنية وخصبة  
 بالطين الذى خلفته الفيضانات . وكان بعضهم يحتاج  
 الى ثيران ، ومحاريث ولا يستطيعون اقتراض نقود  
 أكثر ، فكانوا يبيعون جزءا من أراضيهم حتى يستطيعوا  
 زراعة ما تبقى ، واشترى وائج لانج أراض كثيرة منهم  
 . . باعوها رخيصة بسبب شدة احتياجهم الى المال .  
 ولكن هناك من لم يفرطوا فى أراضيهم ، وكانوا يبيعون  
 بناتهم ، عندما لا يجدون مالا ليشتروا به الحبوب ،  
 والمحاريث والثيران . وجاء بعضهم لوائج لانج ليبيعوا



له بناتهم لانه معروف بأنه غنى ومع ذلك له قلب رحيم  
فاشترى خمس بنات حاسبا ، حساب الطفل القادم ،  
والاطفال الآخرين القادمين من ابناؤه عندما يتزوجون  
جميعهم . وتم شراؤهن فى يوم واحد لان الرجل  
الغنى قادر على أن يتم بسرعة ما يستقر الرأى عليه .

وعندما جاء الصيف وغاصت المياه ، فكان لابد  
من زراعة الارض ، فمشى وانج لانج هنا وهناك ،  
وتفحص كل قطعة ، وناقش مع شينج نوعية تربة كل  
منها وتغير المحاصيل التى يجب أن تتم لصالح الأرض  
وكان يأخذ ابنه الثالث معه أينما ذهب ، وهو الابن  
الذى سيبقى فى الارض من بعده ، حتى يتعلم ، وكان  
ينظر ليرى أن كاث الصبى منصتا أم لا ! وسار الصبى  
ورأسه منكسر ، ونظرة حنق مرسومة على وجهه ،  
ولا أحد يعرف ما كان يفكر فيه . لكن وانج لانج يعرف  
فقط أنه يسير خلفه فى صمت . وعندما تم تخطيط كل  
شئ عاد وانج لانج الى منزله قائلا فى سريره :

ب لم أعد صغيرا ، لكن ليس من الضرورى أن

أعمل بيدي ، فلدى رجال يعملون فى الأرض ، وأبناء  
وسلام فى منزلى !

ومع ذلك عندما عاد الى منزله لم يكن هناك سلام  
فبالرغم من أنه أعطى ابنه زوجة ، واشترى عبيدات  
كافيات لخدمتهم جميعا .. ورغم أنه أعطى عمه وزوجة  
عمه أفيونا كافيا لمزاجهم طول اليوم ، فلا يوجد هناك  
سلام .. وذلك بسبب ابنه وابن عمه .

وعندما دخل وانج لانج مع ابنه الاصغر ،  
انتحى ابنه الاكبر به جانبا وقال :

- لن اتحمل هذا الانسان ، ابن عمى ، فى هذا  
المنزل بعد ذلك بوقاحته وتسكعه بملابسه المفكوكة فى  
المنزل ، وعينيه دائما على العبيدات .

ولم يضيف الى ذلك جملة كان يريد أن يقولها :

- « انه أيضا يتناول وينظر الى الجناح الداخلى  
على امرأتك » لأنه تذكر أنه نفسه قد اشتهى امرأة  
أبيه هذه ذات مرة . ولا يصدق الآن أنه فعل ذلك أبدا

لأنها حاليا سميئة ، وكبرت في السن . لقد كان خجلا  
من ذلك بشكل مرير ، لذلك ذكر العبيد فقط .

### فقال وانج لانج بغضب :

- ألا توجد نهاية لمشاكل الذكور والاناث في  
منزلي ؟ هاأنذا أتقدم في السن ، ويبرد دمي وأبدأ أخيرا  
في أن أتحرر من الرغبة ، وأحب قليلا من السلام  
.. يجب أن أتحمل رغبات وغيره أبنائي الى الأبد ؟!

### وبعد فترة صمت قصيرة صاح ثانية :

- ماذا تريدني أن أفعل ؟

### فاجاب الشاب بثبات :

- أتمنى أن نترك هذا المنزل ، ونذهب الى البلدة  
ونعيش ! فليس مناسبا أن نستمر في عيشة الريف  
مثل الفلاحين العاملين . يمكننا أن نذهب ونترك عمي  
وزوجته وابنتهما هنا ، ونعيش في المدينة وراء  
البوابات .

وضحك وانج لانج بمرارة وباقتضاب ، وطرده  
فكرة الشاب من رأسه ، وكأنها لا تستحق الاعتبار ،  
وقال وهو يجلس على المائدة وساحبا غليونه اليه :

- هذا منزلى ، ويمكنك أن تعيش فيه أو لا تعيش  
فيه كما تشاء .. انه منزلى وهذه أرضى .. وإذا لم  
تكن الأرض موجودة لمتنا جميعا من الجوع كما مات  
غيرنا ، ولا كنت تتبختر الآن فى ملابسك الفاخرة ..  
انها الارض الطيبة التى جعلت منك شيئا ما أفضل من  
ابن فلاح !

ونهض وأخذ يتمشى محدثا جلبة عالية ، ويبصق  
على الأرض ويسلك سلوك الفلاح ، فهو بالرغم من  
اغتيباط جانب منه لرقه ابنه ، الا أن الجانب الآخر  
يتقزز من ذلك تماما .

ولكن ابنه لم يكن مستعدا للاستسلام فقال :

- هناك منزل هوانج الكبير القديم ، فالجزء  
الامامى منه مملوء بعامة الناس ، ولكن البلاط الداخلى

مغلق وساكت ، يمكننا أن نستأجره ، ونعيش هناك  
فى سلام . ويمكنك أن تأتى الى الارض مع اخى  
الاصغر ، ولا مدعاة لأن اغضب من هذا الكلب  
ابن عمى .

تأثر وانج لانج بكلمات ابنه ، عندما قال « منزل  
هوانج الكبير » . . . اذ لم ينس مطلقا انه ذهب ذات  
مرة فى انكسار الى هذا المنزل العظيم ووقف خجلا فى  
حضور من كان يعيش هناك . . . حتى حارس البوابة  
كان خائفا منه . لقد بقيت هذه ذكرى مخجلة له طول  
حياته . وكان يحس باستمرار أنه فى نظر الناس أقل  
من هؤلاء الذين يعيشون فى البلدة ، لذلك عندما قال  
ابنه « يمكننا ان نعيش فى المنزل الكبير » قفزت الفكرة  
الى عقله ، وكأنه يراها بالفعل أمام عينيه .

— يمكننى أن أجلس على ذلك المقعد حيث كانت  
تجلس السيدة الجلييلة وحيث جعلونى أقف امامها  
مثل العبد . الآن ، يمكننى أن أجلس هناك ، وأنادى  
آخرين للامثال أمامى !

ثم شكر ، وقال لنفسه ثانية :

- يمكنني أن أفعل ذلك إذا رغبت !

أخذ يلوك الفكرة وهو جالس في صمت لا يجيب على ابنه ، ووضع التبغ في غليونه ، وأشعله ، ودخن ، وحلم بما يمكنه عمله إذا رغب .. وهكذا كان يحلم بأنه يستطيع أن يعيش في منزل هوانج الذي كان بالنسبة له المنزل العظيم دائما !

ومع ذلك ، أصبح مستاء أكثر من قبل لتعطل ابن عمه ، فشدد الرقابة عليه وهو يتسكع في كل مكان نصف عار ، ولاحظ أنه يلاحق البنات العبيد ببصره حقا  
**فقال :**

- لا أستطيع أن أعيش وهذا الطلب في منزلي ، لذلك عندما ذهب ذات يوم الى البلدة ليرى ابنه الثاني بسوق الغلال قال له :

- حسن ، يا ابني الثاني ، ما قولك فيما يرغب فيه أخوك الأكبر - بأننا ننتقل الى البلدة الى المنزل الكبير ، اذا تمكنا من استئجار جزء منه ؟

لقد كبر الابن الثانى وأصبح الآن شابا ناعما  
مرتبا مثل جميع الموظفين بالمحل ، ولا يزال صغير  
الحجم أصفر البشرة حاد العينين ، فاجابه بركة :

- انها فكرة ممتازة ، انها تناسبنى جيدا ، اذ  
يمكننى الزواج وتعيش زوجتى هناك أيضا ، ونستطيع  
جميعا أن نكون تحت سقف واحد كى أسرة كبيرة .

لم يبذل وانج لانج اى جهد لزواج الابن الثانى  
الذى لم يطلبه ، وكان لدى وانج لانج الكثير ليشغله ،  
فقال فى شىء من الخجل ، لانه لم يساعد هذا الابن  
الثانى كما يجب :

- لقد قلت لنفسى من مدة طويلة بأنك يجب  
أن تتزوج ، ولكن بسبب هذا وذلك من الأمور لم يكن  
لدى الوقت ، ومع أزمة المؤن الأخيرة ، كنا نتجنب  
الاحتفالات جميعها .. ولكن الآن لابد للناس أن تاكل  
ثانية وتفرح !

- حسن ، سأتزوج اذن ، فمن حق الرجال أن  
يكون لهم أبناء ، لكن لا تجلب لى زوجة من بيوت

البلدة مثل أخى ، لأنها ستتكلم دائما عما كان فى منزل  
ابيهما ، وتجعلنى أنفق كثيرا ، وهذا سيفضبنى .

استمع وانج لانج لذلك فى دهشة ، لأنه لم  
يعرف أن زوجة ابنه تتكلم هكذا ، ولكنه كان مسرورا  
لفطنة ابنه . فتأمله ، فرأى شعره الناعم مصففا بإرقا  
وملابسه نظيفة ومن الحرير الرمادى ، ورأى حركاته  
المرتبة وعيونه الكتومة الثابتة ، فقال لنفسه فى  
اندهاش :

— انه ابنى أيضا !

ثم قال بصوت عال :

— أى نوع من البنات تحب اذن ؟

عندئذ اجاب الشاب بركة وثبات وكأنه مخطط  
لذلك من قبل :

— أرغب فى فتاة من قرية ، من أسرة طيبة ذات  
أرض . . فتاة ليس لها أقارب فقراء ، لا بالقبيحة



ولا بالجميلة ، حتى ينظر اليها غيرى ، ولكن طبخة  
ماهرة ، واذا كان هناك خدام فى المطبخ فيمكنها أيضا  
مراقبتهم .. واذا اشترت أرزا فيجب أن يكون كافيا  
دون زيادة .. واذا اشترت قماشا ، فيجب أن يكون  
على قدر التفصيل حتى أن قصاصات القماش المتبقية  
يجب ألا تزيد عن كف يدها فقط .. هذه هى الفتاة  
التي أريدها !

لقد اندهش وانج لانج أكثر عند سماعه لذلك !  
ها هنا شاب لا يعرفه ! انه ليس الدم الذى كان يجرى  
فى جسده عندما كان صغيرا ، ولا فى جسد ابنه  
الأكبر ، ومع ذلك أعجب بأدراك الشاب ، وقال  
ضاحكا :

- حسن ، سألقب عن فتاة من هذا النوع ! ..  
سيتحدث عنها شينج بين القرى !

وذهب وهو لا يزال يضحك ، واتجه فى طريقه  
الى المنزل الكبير .. وتردد بين تماثيل الحيوانات

الحجرية ، ووقف أمام البوابات الكبيرة ، ثم دخل  
حيث لم يجد من يوقفه . كانت الاشجار معلق عليها  
الغسيل المنشور ، والنساء تجلس فى كل مكان ،  
يتحدثن وهن منهمكات فى أعمال الخياطة ، والاطفال  
تتدحرج فى تراب الافنية ، وامتلأ المكان برائحة العامة  
من الناس الذين تدفقوا الى أفنية البيت الكبير عندما  
رحل الرجل الكبير . . وكان يشعر بنفسه واحدا من  
عامة الناس هؤلاء ، قديما ، عندما كانت الاسرة الكبيرة  
موجودة . أما الآن فهو ينظر لهؤلاء الناس المتجمهرين  
نظرة متدنية وكأنه ينتسب الى المنزل الكبير ، أن لديه  
الآن أرضا وفضة مخبأة فى أمان .

ومشى عبر الافنية ، الى أن وجد خلف بوابة  
مغلقة ، امرأة عجوز نصف نائمة ، انها زوجة الرجل  
الذى كان حارسا للبوابة ، ذات الوجه المجدر . لقد  
تذكرها عندما كانت سميئة فى منتصف العمر أما  
الآن فهي بيضاء الشعر ، وأسنانها سائبة فى فكها  
وعندما نظر اليها رأى فى لحظة واحدة ، كيف تتزاحم

السنين وتركض مسرعة منذ أن كان شابا قادما بمولوده  
الأول بين ذراعيه ، فشمر وانج لانج بانفخر يزحف عليه  
وقال بنبرة حزينة للمرأة المسنة :

- استيقظي ودعيني أدخل عبر البوابة !

- لن أفتحها الا لهؤلاء الذين قد يستأجرون  
الأجنحة الداخلية .

- حسن ، سأفعل اذا أعجبني المكان ..

ولكنه لم يخبرها من هو . ودخل من ورائها ..  
وتذكر الطريق جيدا .. كانت الاجنحة غارقة في  
السكون ، ورأى الحجرة الصغيرة التي ترك فيها سلة  
وليمة زواجه ، ثم الممر الطويل المدعم بالحشب  
الاحمر .. وتبعها الى القاعة الكبرى نفسها ، ورجع  
ذهنه بسرعة عبر السنين الماضية ، عندما وقف هناك  
منتظرا أن يتزوج عبدة من المنزل . ورأى أمامه الكرسي  
المزين الكبير حيث كانت تجلس السيدة الكبيرة ،  
وجسمها الدقيق كان ملفوفا في حرير رمادي مفضض

.. وتقدم متأثرا بخيال غريب .. وجلس حيثما كانت  
تجلس .. ونظر من عليائه الى وجه السيدة العجوز،  
التي كانت تنتظر في صمت لتري ما سيفعله .. ثم  
انتفخ قلبه ببعض الرضا الذي اشتاق اليه طوال  
هذه الأيام دون أن يعرف كنهه .. ف ضرب المنضدة  
بيده وقال فجأة :

- سأمتلك هذا المنزل !!

## الفصل الحادى عشر

---

عندما كان وانج لانج يعقد النية على شىء فى هذه الأيام ، لا يستطيع أن يقوم بتنفيذه بسرعة كافية ، فكلما كبر فى السن قل حماسه فى انهاء الأمور ، ويكتفى بالجلوس فى الشمس فى سلام أو ينام قليلا بعد ما يمشى حول أرضه . لذلك أخبر ابنه الأوسط بما عقد عليه العزم ، وأمره أن يرتب الموضوع . وفى اليوم الذى أتوا فيه استعدادهم انتقلوا الى البيت .

بعد ذلك تحرك وانج لانج وأخبر شينج بالبحث عن فتاة لابنه الثانى ليتزوجها . لقد بدأت علامات

الكبر والضعف تظهر على شينج ، ولكن لا يزال  
مخلصا كالكلب العجوز . ولا يدعه وانج لانج حاليا  
يرفع العزاقة أو يتبع الثيران خلف المحراث ، ولكنه  
كان مفيدا ، حيث يرقب الآخرين أثناء العمل ويقف  
بجانبيهم أثناء وزن وكيل الحبوب ، وعندما سمع  
ما يريده وانج لانج ، اغتسل وارتدى رداءه القطنى  
الأزرق ، وسار بين القرويين ، وشاهد فتيات كثيرات  
ثم عاد فى النهاية قائلا :

- توجد فتاة بعد ثلاث قرى .. فتاة طيبة  
وقوية وحريصة ، ليس فيها عيب سوى أن ضحكاتها  
جاهزة .. وسيكون أبوها سعيدا لو ارتبط بعائلتك  
عن طريق ابنته ، وهو يمتلك أرضا ولكنى قلت  
أننى لا أستطيع أن أعطى وعدا حتى تعطيه لى .

بدا ذلك لوانج لانج طيبا بما فيه الكفاية ،  
وتلطف لانهاء هذا الموضوع ، لذلك أعطى وعده ، وعندما  
جاءت أوراق الزواج ، مهرها ببخاته ، وفكر قائلا  
لنفسه :

— والآن ، لا يوجد سوى ابنى الثالث ، وانتهى من  
الزواج كله ، وأصبح سعيدا لقربى من راحة بالى •  
وعندما تم ذلك ، وتم ترتيب يوم الزواج ارتاح  
فى الشمس ونام ، كما فعل أبوه اراءه •

وفى هذه الاثناء ، أصبحت الآلهة رحيمة ولو  
لمرة ، ورتبت السلام اعتبارا لسنه الكبير • اذ سمع من  
ابن عمه ، الذى ازداد ضجرا ، بأن هناك حربا فى الشمال  
فقال **لوانج لانج :**

— يقال أن هناك حربا فى الشمال • • سأذهب  
لألتحق بها لعل أرى جديدا • • اعطنى فضة لأشتري  
مزيدا من الملابس ، وبعض ملايات للسرير ، وبندقية  
أجنبية لأضعها على كتفى !

قفز قلب وانج لانج عندئذ من الفرحة ، ولكنه  
أخفى ذلك ، وقال :

— ولكنك الابن الوحيد لعمى ، وبعدك لا يوجد  
أحد ليحمل مسئولية عائلته ، وإذا ذهبت الى الحرب  
ماذا سيحدث ؟

- حسن ، اننى لست ابلها ، لن ابقى فى اى مكان  
يكون خطرا على حياتى ، فاذا حدثت معركة ، فسأبتعد  
حتى تنتهى . انى أريد التغيير . . أريد السفر ومشاهدة  
الاماكن الأخرى قبل أن اكبر على فعلها .

**فاعطاه وانج لانج الفضة بكل سرور ، قائلا  
لنفسه :**

- اذا أحبها ، فستكون نهاية لهذه اللعنة التى  
فى منزلى .

**ثم أضاف :**

- ودائما ما توجد حرب فى مكان ما فى البلاد ،  
وربما يقتل ، اذا دام حظى السعيد ، لأن هناك كثيرين  
يموتون أثناء تلك الحروب .

وشعر بالابتهاج عندئذ برغم أنه لم يظهر ذلك ،  
بل طيب خاطر زوجة عمه عندما بكى قليلا حين سماعها  
بذهاب ابنها للحرب ، وأعطاهها بعض الأفيون ، وأشعل  
غليونها لتدخنه ، وقال :



- لا شك أنه سيترقى ويصبح ضابطا عظيما في  
الجيش وسيعمنا جميعا الشرف !

تعود وانج لانج حاليا على أكل الأطعمة الشهية  
وهو الذى كان فى قناعة تامة برغيف قمح طيب ملفوف  
حول فصوص الثوم ، كما تعود على أن ينام حتى منتصف  
النهار ، ولم يعد يعمل بيديه ! ولم يزايله التعجب  
مطلقا من أنه يعيش حاليا مع زوجته وأبنائه ، وزوجاتهم  
كما سيولد طفل لابنه فى نفس البيت الكبير الذى كانت  
تعيش فيه عائلة هوانج العظيمة !

وسمع صباح أحد الأيام صرخات امرأة ، فذهب  
الى الجناح الخاص بابنه الأكبر الذى قابله قائلا :

- لقد جاءت الساعة • وكوكو تقول انها ستطول •  
وانها ستكون ولادة عسيرة !

فعاد وانج لانج الى جناحه وجلس يتسمع  
للصرخات • وخاف لأول مرة منذ سنين عديدة ، وأراد  
المساعدة من روح طيبة ، فنهض وذهب الى محل

البخور ، ورغم انه كان يوما حارا كثيف الغبار ، الا  
انه عرج على المعبد الصغير بالريف ، حيث يجلس الالهان  
يراقبان الحقول والأرض ، ووضع أعواد البخور بعد ان  
اشعلها قائلا :

— لقد اعتنينا بكما ، أبى ، وأنا ، وابنى ، وهما هي  
تأتى ثمرة ابنى .. فاذا لم يكن ولدا ، فلن أعطيكما  
شيئا على الاطلاق !

وبعد ما قام بكل ما يقدر عليه ، عاد الى المنزل  
متعبا جدا ، فجلس الى المائدة ، وأراد عبدة لتحضر له  
شاي ، وأخرى لتحضر له ماء ساخنا ليغسل وجهه ،  
فصفق بيديه ، ولكن لم يات أحد : وكان هناك شيء  
من الهرج والمرج ، وبقي كما هو متعبا مغبرا ، لا ينظر  
اليه أحد .

وفى النهاية عندما بدا له أن الليل قد اقترب ،  
جاءت لوتس على قدميها الصغرتين مستندة على كوكو  
بسبب وزنها الكبير ، وضحكت وقالت بصوت عال :

– حسن ، لقد هل ابن فى منزل ابنك ، وهو وأمه  
فى حالة جيدة ، لقد رأيت الطفل انه رائع !

فضحك هو أيضا ، ونهض وضرب بكفيه ، وضحك  
ثانية وهو يقول :

– وأنا جالس هنا مثل رجل يولد له ابن لأول  
مرة ولا يدرى ماذا يفعل !

**وعندما ذهبت لوتس الى حجرتها فكر فى سريره:**

– كنت أخاف هكذا عندما وضعت أو – لان أول  
ابن لى .

وتذكر ذلك اليوم .. وكيف ذهبت أو – لان  
بمفردها الى الحجرة الصغيرة المظلمة .. وكيف وضعت  
له بمفردها أبناء وبنات .. وضعتهم فى صمت ..  
وكيف خرجت الى الحقول واشتغلت بجانبه مرة أخرى ،  
ومع ذلك فما هى واحدة الآن ، زوجة ابنه التى صرخت  
مثل الطفل من آلامها .. ولديها جميع العبيد من النساء  
يركضن فى أرجاء المنزل وزوجها يقف على بابها ..

وتذكر كما يذكر الانسان حلما مضى عليه زمن طويل ،  
كيف ارتاحت او - لان من عملها ، وأطعمت الطفل وهي  
جالسة على الارض فى وصح الشمس • بدا ذلك الذى  
حدث منذ زمن طويل ، وكأنه لم يحدث على الاطلاق !  
ثم جاء ابنه مبتسما وكأنه شخص مهم ، وهو يقول  
بصوت عال :

- ولد يا أبى ، والآن ، يجب أن نجد امرأة لترعاه ،  
لأننى لا أريد أن أضيع جمال زوجتى ولا أدعها تفرط  
فى بهائها حين تقوم بذلك !

فقال وانج لانج بحزن ، رغم أنه لا يدري لماذا هو  
حزين :

- حسن ، اذا كان يجب فعل ذلك فليكن  
كذلك ! •• اذا لم تستطع أن ترعى طفلها !

وعندما أتم الطفل شهرا من عمره ، أقام الأب  
وليمة ، ودعى جميع الكبار بالبلدة ، وأمر بتجهيز عديد  
من البيض الأحمر ، وقام بتوزيعه على كل ضيف ، وعم  
الفرح والاحتفال المنزل كله •

ولكن ، وكان الآلهة لا تستطيع تقديم هدية بدون  
أن تخفى شيئا تلسع به ، اذ جاء رجل يركض عبر  
الحقول ليخبر وانج لانج أن شينج يحتضر ، ويطلب  
أن يراه قبل أن يموت فصاحت لوتس بأن ينتظر حتى  
تغرب الشمس ، ولكنه لم ينتظر ، وخرج في الحال ،  
وعندما رأت لوتس أنه لم يلتفت اليها أرسلت عبدة  
من ورائه بمظلة من السورق المزين برسوم الالوان  
الزيتية ، ولكن وانج لانج هرول سرعا لدرجة أن  
العبدة السمينة وجدت صعوبة في الإمساك بالمظلة فوق  
رأسه ، وعبر الحقول الى الحجرة التي يرقد بها شينج  
وسال :

- كيف حدث هذا ؟

كانت الحجرة مملوءة بالعمال ، واجابوا في ارتباك  
وعجلة :

- كان يريد أن يعمل بيديه ...

- قلنا له لا تعمل !

- لقد جاء عامل جديد ...



- وكان شينج يريد أن يعلمه ...

- العمل قاس على رجل كبير فى مثل سنه ..

**صرخ وانج لانج عندئذ بصوت رهيب :**

- آتونى بهذا العامل !

فدفعوا بالرجل أمامه ، فوقف مرتعدا ، وركبته العاريتان تتخبطان فى بعضهما .. كان مجرد صبي ضخم ، ريفى خشن ، أسنانه بارزة فوق شفته السفلى ، وعيناه مستديرتين غبيتين مثل عيني الثور . ولم يكن لدى وانج لانج أى شفقة نحوه ، فصفع الصبي على خديه ، ثم أخذ المظلة من يد العبد وضربه بها على أم رأسه ، ولم يجروا أحد أن يوقفه . وتحمل الصبي الريفى وأمثل فى انكسار ، يصيح قليلا ويص أسنانه كثيرا .

وعندئذ صرخ شينج من الفراش حيث يرقد ،  
**فالقى وانج لانج المظلة قائلا :**

- يموت الرجل ، وأنا أضرب أبلها !

فجلس وأخذ يد شينج ، وأمسك بها .. كانت  
خفيفة كورقة شجر جافة ، لا يمكن أن يصدق أن الدم  
كان يجري فيها . وكانت عينا شينج النصف مفتوحتين  
تبدوان كعيني الكفيف ، وانحنى وانج لانج عليه وقال  
بصوت عال في أذنه :

— أنا هنا ! سأشتري لك تابوتا ، مثل تابوت  
أبي !

ربما سمعه شينج ، فهو لم يبد أي إشارة ، ولكنه  
ظل راقدا يتنفس بصعوبة .. وهكذا مات !

وعندما مات انحنى وانج لانج عليه وبكى كما لم  
يبك أباه .. وطلب تابوتا من أفضل الأنواع ، واستأجر  
الكهان للدفن ، وسار في الحلف مرتديا الملابس  
البيضاء . وأمر ابنه الأكبر بارتداء الشرائط البيضاء  
حول ساقيه ، وكان الميث أحد اقربائه ، برغم أن ابنه  
تدمر قائلا : انه مجرد خادم مقرب اليك ، وليس من  
المناسب عمل ذلك من أجل خادم . وأخبره وانج لانج  
بذلك لمدة ثلاثة أيام ، وإذا كان له ما أراد لكان دفنه

داخل الجدار الترابي حيث دفن أبوه أو - لان ..

ولكن أبناءه لم يسمعوا بذلك ، واشتكوا قائلين :

- هل سترقد أمنا وجدنا مع خادم ؟ ونحن أيضا  
عندما يأتي أجلانا ؟

لذلك دفنه وانج لانج عند مدخل الجدار ، لأنه لم  
يقدر على المشاحنة معهم وهو ينشد السلام بالمنزل ،  
وارتاح لما فعله وقال :

- انه يستحق ، لأنه كان دائما حارسي الأمين  
ضد الشر !

وطلب من أبنائه أن يرقدوه بالقرب من شينج  
بما يموت .

لم يفكر وانج لانج مطلقا أن يسأل ابنه الأصغر  
فبما يرغب أن يفعله بحياته ، لأنه كان قد قرر أن يظل  
أحد أبنائه في الأرض ولم يكن هذا الابن يشبه أخويه  
ولكنه كان صامتا كامه ، ولأنه كان صامتا ، فلم يفكر  
أحد فيه كثيرا .



وفى احدى الليالى جاء الابن الثالث ، ووقف أمام  
أبيه ، ونظر اليه وانج لانج ، فرأى فيه شابا طويلا  
نحيفا ، لا يشبه أباه ولا أمه ، سوى أن لديه جدية أمه  
وصمتها ، ولكن فيه جمال أكثر مما كان فى أمه .  
كان فيه جمال أكثر من أى من أبنائه ، ما عدا البنت  
الثانية التى ذهبت الى أسرة زوجها ، ولم تعد تنتمى  
لمنزل وانج ، ولكن لديه حواجب سوداء ثقيلة وظاهرة  
فى وجهه الشاحب الصغير . وعندما يفضب ، وكان  
من السهل اغضابه ، يلتقى هذان الحاجبان سويا  
ويصبحا خطا ثقيلًا مستقيما عبر وجهه .

— ان أخاك الأكبر يقول انك تريد أن تتعلم  
القراءة !

— أجل .

فهز وانج لانج الرماد من غليونه ، ودفع وحشاه  
بتبخ جديد ، وقال بمرارة :

— معنى هذا انك لا تريد أن تعمل فى الأرض ،

ولن يكون لدى ابن يعمل في الأرض ، أنا .. ولدى  
الأبناء بوفرة !!

ولكن الصبي لم يقل شيئا ، وظل واقفا مستقيما  
ثابتا في رده الصيفي الأبيض الطويل ، حتى ثار وانج  
لانج أخيرا من صمته وصاح فيه :

- لماذا لا تتكلم ؟ هل حقا انك لا تريد أن تبقى  
لتعمل في الأرض ؟

فاجاب الصبي ثانية بنفس الكلمة الواحدة :

- أجل !

فقال وانج لانج لنفسه وهو ينظر اليه ، أن  
هؤلاء الأبناء من الصعب عليه أن يتحملهم في سنه  
الكبير ، أنهم مصدر ازعاج له ، ولا يدري ماذا يفعله  
معهم ، وصاح ثانية وهو يشعر بسوء معاملتهم له :

- وماذا يهمني ما تفعله ؟ أغرب عن وجهي !

فذهب الصبي بهدوء ، وجلس وانج لانج بمفرده  
حتى حل الظلام .

وفعل كما كان يفعل دائما ، عندما ينتهى حنقه  
يتترك أبنائه تفعل ما تريد ، فنادى ابنه الأكبر وقال :  
- ابحث عن مدرس لابن الثالث ، اذا أراد واحدا ،  
ودعه يفعل ما يحلو له ، ولا أريد أن يزعجنى أحد  
بخصوص ذلك .

### ونادى ابنه الثانى وقال :

- طالما أنه لن يكون لى ابن يعمل فى الأرض ،  
فمن واجبكم أن تراعوا الايجار ، والفضة التى تأتى من  
الأرض عند كل محصول ، ويمكنك أن تزن وتحسب  
وتدير كل شئ لى .

ابتهج الابن الثانى ، لأن ذلك معناه أن النقود  
ستمر من بين يديه ، وسيعرف كم دخل ، وسيشكو  
لأبيه لو أنفقوا أكثر من اللازم فى المنزل . كان الان  
الثانى يبدو غريبا لوانج لانج عن أى من أبنائه الآخرين ،

فهو حريص على النقود التي تنفق على الطعام والنيبذ حتى مع اقتراب يوم زواجه . وفرق بين الموائد ، واحتفظ بأفضل الأشياء لأصدقائه من البلدة الذين يعرفون تكلفة الأطباق ، بينما أهل الريف الذين كان من الواجب دعوتهم فقد أعطاهم أشياء درجة ثانية وراقب النقوط والهدايا التي جاءت . وأعطى الشيء القليل للعبيد والخدم . وكانت كوكو حانقة عندما وضع في يدها قطعتين بائستين من الفضة ، وقالت على مسمع الكثيرين :

- العائلة العظيمة حقا لا يمكن أن تكون حريصة على فضتها هكذا ؟ يستطيع الإنسان أن يقول أن هذه العائلة تنتمي بجدارة لمثل هذا البيت الكبير !

وسمع الابن الأكبر ذلك ، فخجل وأعطاهم مزيدا من الفضة سرا ، لأنه يخشى لسانها ، وكان غاضبا من أخيه ، وهكذا كانت بينهما منازعات حتى في يوم الزواج نفسه ، وكان الضيوف قد جلسوا حول الموائد . لقد دعا الابن الأكبر عددا قليلا من أصدقائه

للمحفل ، لأنه كان خجلا من اختيار أخيه لفتاة قروية ،  
**قائلا :**

- لقد اختار أخى اناء مصنوعا من الطين ، بينما  
كان يمكنه أن يحصل على كأس من الذهب !

وانحنى بتكبر وازدراء عندما جاء الاثنان ينحنيان  
إمامه . وكانت زوجته تنحني أقل ما يمكن حتى لا تؤخذ  
عليها لومة لائم .

ولم يعد هناك أحد من بين كل هؤلاء الذين  
يعيشون في هذا البيت يتمتع بالراحة والسلام ، فيما  
عدا الحفيد الصغير . فوانج لانج نفسه الذى ينام فى  
فراش وثير يستيقظ أحيانا ليتمنى أن يعود الى  
المنزل البسيط ذى الجدران الترابية ، حيث يستطيع  
الإنسان أن يلقي بالشئ البارد دون أن يتلف الغالى  
من الأثاث ، وحيث تأخذه خطوة واحدة الى حقوله .  
وبالنسبة للأبناء فهناك دائما منغصات كثيرة ، فالابن  
الأكبر قلق بخصوص المظهر . فاذا لم ينفق بما فيه  
الكفاية فسيبدون عديمى الأهمية فى عيون الناس ،

والابن الثانى قلق بسبب النقود الكثيرة التى تطير ..  
والابن الثالث يحاول أن يلحق ما فاتته بعد السنين التى  
فقدما كابن فلاح ..

لكن هناك شخصا يركض هنا وهناك بشكل غير  
مستقر ، راض بحياته .. انه ابن الابن الاكبر .. لم  
يفكر أبدا فى أى مكان آخر سوى منزله العظيم .. لم  
يكن بالنسبة له كبيرا ولا صغيرا ولكن مجرد منزله ..  
هنا أمه وأبوه ، وجده .. وجميعهم يعيشون فقط  
ليخدموه .. ومنه يحصل وانج لانج على السلام ، لم  
يكن يشبع من مراقبته ، والضحك معه ، والتقاطه  
عندما يسقط .

وفرّح وانج لانج أيضا عندما أنجبت زوجة ابنه  
الثانى فى موعدها ، وأنجبت بنتا . وفى غضون خمس  
سنوات أصبح لديه أربعة أحفاد ، وثلاث حفيدات ،  
وامتلا البيت بضحكاتهم ودعوتهم .

وأخذ الموت عمه فى هذه السنة ، وهو الذى نسيه  
تقريبا ، الا فى الاطنان على أنهم قدموا له وزوجته

العجوز الطعام والكساء ولديهما ما يريدان من الأفيون ،  
وجعل وانج لانج الأسرة كلها ترتدى الملابس البيضاء ..  
وليس بسبب أن أحدا منهم حزين حقاً بموت هذا الرجل  
الذى لم يكن سوى مصدر ازعاج لهم ، ولكن لأنه من  
اللائق عمل ذلك فى العائلات الكبيرة ، عندما يموت  
قريب لهم . ثم أعطى وانج لانج لزوجة عمه حجرة فى  
طرف أحد الأجنحة ، حيث تمص غليون الأفيون وترقد  
فى فراشها فى رضا تام .. فهى نائمة طوال الوقت ،  
وتابوتها بجانبها حيث يمكن أن تراه ليريحها منظره .

واندهش وانج لانج عندما تذكر أنه قد خافها فى  
وقت ما كامرأة ريفية سميئة ضخمة كسولة ومزعجة ..  
وها هى الآن ترقد جافة مصوصة صفراء ! ..





## الفصل الثانى عشر

---

كان وانج لانج يسمع بالحرب هنا وهناك ، لكنه لم يرها مطعما عن قرب ، الا التى رآها عندما فر هاربا الى المدينة الجنوبية ، عندما كان صغيرا . ولم تقترب منه أكثر من ذلك ، برغم أنه كثيرا ما سمع الرجال يقولون منذ أن كان طفلا :

- الحرب فى الغرب هذه السنة ..

أو :

- الحرب فى الشرق ..

أو :

- فى الشمال الشرقى ..

وكانت الحرب بالنسبة له مثل الأرض أو السماء .. لماذا تكون .. أو لماذا تنشب ؟ .. لا أحد يعرف ! .. يعرفون فقط أنها موجودة .. ومن حين لآخر يسمع الرجال يقولون :

— سنذهب للقتال ..

ويقولون ذلك عندما يتضورون جوعا ، فمن الأفضل أن يكونوا جنودا عن أن يكونوا متسولين .. أو يقولها الرجال أحيانا ، عندما يكونوا ضجرين في بيوتهم ، مثل ابن عمه .. ولكن الحرب كانت بعيدة دائما ، في مكان سحيق .. وفجأة اقتربت .. كريخ من السماء غير متوقعة .. !

سمع وانج لانج عنها أول الأمر من ابنه الثاني ، الذي أتى من السوق في أحد الأيام لوجبة منتصف النهار وقال لأبيه :

— لقد ارتفع سعر القلال فجأة ، لأن الحرب في

جنوبنا الآن ، وتقرب كل يوم . يجب أن نحفظ  
بسخازن غلالنا الى حين ، سيرتفع السعر ، ويرتفع كلما  
اقتربت الجيوش اليها . وعندها يمكننا أن نبيع بسعر  
جيد .

انصت وانج لانج الى ذلك ، وهو ياكل فقال :

- حسن - انها مثيرة للفضول ، سأكون سعيدا  
أن أرى ما هي الحرب على حقيقتها ؛ لأننى أسمع عنها  
طول حياتى ولم أرها .

وتذكر انه خاف ذات مرة من أن يقبض عليه ضد  
رغبته ، لكنه أصبح الآن عجوزا لا يصلح . بالاضافة  
الى أنه غنى . . والأغنياء لا يخافون شيئا ، لذلك لم  
يلق بالا للموضوع بعد ذلك ، وأخذ يلعب مع أحفاده ،  
وينام ، ويذهب أحيانا ليرى بلهاء المسكينة التى  
تجلس فى ركن منزو من البيت .

وفى يوم ما فى أوائل الصيف ، جاءت جمهرة  
كبيرة من الرجال كسحابة كاسحة من الجراد . ووقف

حفيد وانج لانج الأكبر عند البوابة مع رجل من  
الخدم ، ليرى ما يحدث فى هذا الصباح .لمشمس  
الجميل ، وعندما رأى الصفوف الطويلة للرجال ذوى  
الملابس الرمادية ، ركض عائدا الى جده وصرخ قائلا :  
- تعال ، وانظر ما يحدث يا كبير !

فذهب وانج لانج للبوابة لارضائه ، وكان الرجال  
يملاون الشوارع بل يملأون البلدة كلها . . لقد شعر  
وكان الهواء وضوء الشمس قد انشطرا فجأة ، بسبب  
اعداد الرجال فى لونهم الرمادى يسرون مسويا  
بخطوات ثقيلة عبر البلدة . ونظر اليهم بتمعن ، فرأى  
أن كل رجل يمسك سلاحا من نوع ما بالاضافة الى  
سكين طويل .

كانت الوجوه شرسة متوحشة ، رغم أن بعضهم  
كانوا فتية صفارا . . فسحب الطفل اليه بسرعة ،  
وهمس :

- فلنذهب ، ونغلق البوابة . انهم ليسوا

برجال طيبين لتشاهدكم يا صغيرى ! ولكن فجأة ،  
وقبل أن يستطيع الاستدارة ، رآه أحد الرجال ،  
وصرخ فيه :

- هاى ، ها هو ابن اعمى !

فنظر وانج لانج جهة النداء ، فرأى ابن عمه ..  
كان يرتدى نفس زى الآخرين ، وكان أشعث أغبر ،  
وكان وجهه أكثر توحشا وشراسة من غيره ..  
وضحك بصوت عال ، ونادى رفاهه :

- يمكننا التوقف هنا يا أصدقائى ! انه رجل  
غنى ، وقريبى !

وقبل أن يستطيع وانج لانج التحرك ، اندفع  
حشد الرجال عبر بواباته ، وكان عاجزا بينهم ..  
وانسكبوا مثل المياه الرمادية الفاسدة داخل بيته  
وأجنحة منزله ، محتلين كل ركن ، ورموا بأنفسهم  
على الأرض ، وغطسوا بأيديهم فى البركة وشربوا ،  
والقوا بسكاكينهم على المناضد المصقولة ، وأخذوا

يبيصقون حيثما يشاءون ، ويصيحون في بعضهم البعض .

عندئذ ركض وانج لانج في ياس ما حدث ،  
وذهب معه الطفل ليبحث عن ابنه الأكبر . فتوجه الى  
جناح ابنه ، وكان جالسا يطالع في كتاب ، فنهض  
عندما دخل أبوه . وعندما سمع ما همس به  
وانج لانج خرج مسرعا ، وعندما رأى ابن عمه لم يعرف  
ان كان سيلعبه أم يكون مؤدبا نحوه ، ولكنه ألقى  
بنظرة ، ثم همس في ياس لأبيه :

- كل رجل معه سكين !

**فتوخى الحرص وقال :**

- حسن ، ابن عمي ، مرحبا بك في منزلك  
ثانية !

**فابتسم ابن عمه بفضلاظة ، وقال :**

- لقد أحضرت بعض الضيوف .



• حضور الجنود الى منزل وانج لانج •

- مرحبا بهم طالما انهم اصدقاءك • سنجهز طعاما حتى ياكلون قبل أن يستأنفوا سيرهم •  
**عندئذ قال ابن عمه ولا يزال مبتسما بظافة :**

- افعل ، ولكن لا داعى للمجلة لاننا سنرتاح هنا أياما أو شهرا أو سنة أو اثنتين ، لأن علينا أن نبقى فى هذه البلدة حتى تطلبنا الحرب •

عندما سمع وانج لانج وابنه ذلك ، لم يستطيعا اخفاء اندهاشهما ، وفزعهما ، ولكن كان عليهما أن يتظاهرا بالهدوء بعض الشئ بسبب السكاكين التى تبرق فى كل مكان بالبيت ، لذلك ابتسما قدرا استطاعتهما **وقالا :**

- اننا محظوظون •• اننا محظوظون •• !

وتظاهر الابن الأكبر بأنه يجب أن يذهب لتجهيز الأشياء ، وأخذ يد أبيه وأسرها الى الجناح الداخلى ، وأغلقا الباب بالمزلاج ، ثم نظر الاثنان الأب والابن الى بعضهما فى خوف ، ولم يعرف أحد منهما ماذا يفعل •



عندئذ جاء الابن الثانى راكضا ، وطرق على الباب ، وعندما ادخلوه جلس بسرعة منهارا ، وصرخ قائلا :

- الجنود فى كل مكان ، وفى كل منزل ..  
حتى فى منازل الفقراء .. لقد اتيت راكضا لأقول لكم  
لا يجب أن تقاوموا .. لأن أحد الكتبة الذين يعملون  
معى فى المحل ، عاد الى منزله فوجد الجنود حتى فى  
الحجرة التى ترقد فيها زوجته المريضة ، فاشتكى  
ففرزوا السكين فيه ، وكأنه مصنوع من الزبد ..  
وبمثل هذه النعمة أيضا خرجت السكين من الناحية  
الأخرى من جسده ، مهما أرادوا فلنعطيه لهم .. لكن  
دعونا نصلى لكى تنتقل الحرب قريبا الى أماكن أخرى!  
ثم نظر الثلاثة الى بعضهم فى خوف مفكرين فى  
نساتهم ، وفى هؤلاء الرجال المتوحشين الجياع ..  
وفكر الابن الأكبر فى زوجته ذات التقاليد والسلوك  
الحسن وقال :

- يجب أن نضع النساء سويا فى أقصى جناح ،

ويجب أن نراقبهم ليل نهار ، ونغلق البوابات بالمزلاج ، ونجهز « بوابة السلام » الخلفية للاستخدام عند اللزوم .

وهكذا أخذوا جميع النساء ، والأطفال ووضعوهم سويا في الجناح الداخلي ، حيث كانت تعيش لوتس مع كوكو وخدمها ، وعاشوا هناك مكسدين في حالة انزعاج تام ، وأخذ الابن الأكبر مع وانيج لانج يراقبان البوابة نهارا وليلا ، ويلتحق بهم الابن الثاني عندما يستطيع ، ويراقبون بحرص ليل نهار !

ولكن هناك شخصا ، ابن العم ، لا يستطيع أحد قانونا أن يمنعه ، لأنه قريب ، فاعتاد أن يقرع البوابة ، ويدخل ليتجول كما يشاء ، حاملا سكينه البراق في يده ، ويتبعه الابن الأكبر ، ووجهه مليء بالمرارة ، ولكنه لم يجروا على قول أى شيء ، فالمسكين الكبير يبرق ، وابن العم ينقب هنا وهناك ، ويتفحص بلا خجل كل امرأة من الرأس الى القدم .

وعندما شاهد كل شيء ذهب ليرى أمه .. كانت

راقدة على فراشها مستغرقة في النوم حتى أنه لم  
يستطع أن يوقظها ، ولكنه ضرب بطرف بندقيته  
السميك بعنف على الأرض حتى استيقظت .. فحملت  
فيه وكأنه خارج من حلم . فقال لها بنفاد صبر :

- حسن ، هاهو ابنك ! ومع ذلك تنامين !

فرفعت نفسها من فراشها ، ونظرت إليه لمدة  
طويلة ، ثم قالت باندهاش :

- ابني - انه ابني ...

وأخيرا ، قدمت له غليون الافيون ، وكانها  
لا تعرف ماذا تفعل غير ذلك .

ووقف وانج لانج بجانب السرير ، ودب فيه  
الخوف فجأة ، فقد يلتفت إليه هذا الرجل من غضب  
ويقول :

- ماذا فعلت بأمي ، لتصبح جافة وصفراء  
هكذا ، وذهب كل لحمها الطيب ؟

فتعجل وانج لانج وقال :

- أتمنى ان تقتنع بالقليل ، لأن أفيونها يكلفنا  
حفنة من الفضة كل يوم ، ولكنها تريده كله ، ولانجرو  
ان نغضبها في سنها .

وتنهذ وهو يتكلم ، ونظر خلصة الى ابن عمه ،  
ولكن الرجل لم يقل شيئا ، بعد أن شاهد ما وصلت  
اليه أمه . . . وعندما سقطت في غفوتها ثانية ، خرج  
في جلبه ، مستخدما البندقية في يده مثل عصا  
للسير .

لم يخف وانج لانج وعائلته أحدا من حشد  
الرجال المتعطلين في الساحات الخارجية ، كما خافوا  
من ابن العم هذا ، وقام الرجال بتمزيق الأشجار ،  
والزهور ، وكسروا الكراسي بأحذيتهم الجلدية  
الضخمة ، وخربوا البرك حيث يسبح السمك ، لذلك  
مات وطاق على الماء وجانبه السفلى الأبيض الى أعلى . .  
ويدخل ابن العم ويخرج كما يحب ، ويبخلق ببصره  
في النساء ، فينظر وانج لانج وأبنائه الى بعضهم

البعض متعبين لأنهم لايجروون على النوم ..  
ولاحظت كوكو ذلك كله ، فقالت :

- يوجد حل واحد يمكن عمله .. يجب عليكم  
أن تمطوه عبدة لمتعته أثناء اقامته هنا ، والا سيأخذ  
هو من لايجب أن يأخذها ..

اقتنع وانج لانج بما قالته ، فالحياة أصبحت  
لا تحتمل بكل هذه المضايقات الموجودة بالمنزل ،  
لذلك قال :

- انها فكرة جيدة !

والقى بنظره الى العبدات اللاتي يقفن من حولهم ،  
فأشحن بوجوههن وضحكن بحمق ، وتظاهرن بالتحجل  
.. جسيمهن فيما عدا فتاة قروية عفية ، كانت في  
العشرين من عمرها أو نحو ذلك ، قالت ووجهها قد  
أحمر من الفحك :

- حسن ، لقد سمعت كثيرا بخصوص هذا  
العمل ، وأحب أن أجرب ذلك ، اذا وافق هو ، انه  
ليس بالرجل القبيح .

**فاجاب وانج لانج وهو يشعر بالراحة :**

— حسن ، اذهبي اذن !

وعاش ابن العم مع هذه الفتاة فى المنزل مدة شهر ونصف ، وكانت تتفاخر بذلك • وبعدها جاء نداء الحرب فجأة ، وذهب الحشد مثل أوراق الشجر التى تهب عليها الريح ، ولم يبق شئ سوى الأوساخ ، والخراب الذى صنعوه •

دفع ابن العم بالسكين فى حزامه ، ووقف امامهم ، وبندقيته على صدره ، وقال :

— حسن ، اذا لم أعد ثانية ، فلقد تركت حفيدا لأمى • وليس كل الرجال قادرين أن يتركوا أبناءهم حيثما وقفوا لشهر أو لاثنتين ، هذا من مميزات حياة الجندي •• فبذرتنا تظهر خلفه ، وعلى الآخرين العناية بها •

وهكذا ضحك لهم جميعا •• وذهب فى طريقه •

وعندما ذهب الجنود ، اتفق وانج لانج ، وولدها  
الكبيران ثلاثتهم لأول مرة ، وقرروا ازالة كل ما حدث  
من تخريب . فاستأجروا عمالا مهرة قاموا باصلاح  
الأثاث المكسور ، وأعمال الزخرفة . وقام الرجال من  
الخدم بتنظيف الساحات ، فافرغوا البرك ، ونظفوها ،  
ووضعوا بها مياه نظيفة . . واشتروا مرة أخرى سمكا  
ذهبيا جميلا ، وقاموا بزراعة مزيد من الأشجار  
المزهرة ، وبتهذيب الأشجار المتبقية ، وازالة فروعها  
المكسورة .

وفي خلال سنة أصبح المكان نظيفا ، ومزدهرا  
مرة أخرى ، وانتقل كل ابن الى جناحه ، وعاد النظام  
الى كل مكان .

وأمر وانج لانج العبدة التي عاشت مع ابن عمه  
أن تخدم زوجة عمه طول حياتها ، التي قد تكون  
طويلة . وسره أن هذه العبدة قد أنجبت بنتا ليس الا ،  
لأنها اذا كانت ولدا لأصبحت فخورة . وربما طالمت  
بمكان في العائلة ، ولكن طالما أن المولود مجرد بنت ،

فالامر لايتعدى عبدة أنجبت عبدة ، ولم تصبح أكثر أهمية مما كانت عليه من قبل ، ومنحها قطعة فضة .. وكانت المرأة سعيدة بما فيه الكفاية ، وكان هناك شيء واحد أخبرته لوانج لانج عندما أعطاهما الفضة :

- احتفظ بالفضة ياسيدي كهدية زواج ، وزوجني لمزارع أو لأى رجل فقير طيب ، فبعد أن عاشرت رجلا فمن الصعب على أن أعود الى فراشى وحيدة .

ووعدها وانج لانج بذلك .. وهنا تذكر .. فهاهو يعد امرأة لرجل فقير .. وكان هو الرجل الفقير ذات مرة ، قادما الى نفس هذا القصر لامراته ، وبالرغم من أنه لم يفكر فى أو - لان منذ مدة طويلة ، الا أنه يفكر فيها الآن بحزن .. مع ثقل فى تذكر الأشياء البعيدة ، لقد أصبح بعيدا جدا عنها الآن .

**وبعد فترة ليست طويلة ، جاءت المرأة قائلة :**

- نفذ وعدك ياسيدي ، فلقد ماتت العجوز



فى الصباح الباكر ، دون أن تستيقظ على الإطلاق ،  
ولقد وضعتها فى تابوتها •

وتساءل وانج لانج ، أى رجل يعرف حاليا فى  
ارضه ، فتذكر الصبى الغبى الضخم ، الذى تسبب فى  
وفاة شينج - الصبى ذا الأسنان البارزة من فوق  
شفته السفلى - وفكر :

- حسن ، انه لم يكن يقصد ما فعل ، فهو طيب  
كالآخرين ، وهو الشخص الوحيد الذى أستطيع  
أن أفكر فيه الآن •

لذلك أرسل الى الصبى ، لقد كبر الآن ،  
وأصبح رجلا ، لكنه لا يزال غبيا ، وأسنانه لا تزال  
كما هى •

وكان من دواعى سرور وانج لانج أن يجلس على  
الكرسى ذى الزخارف فى القاعة الكبيرة ، وينادى  
الاثنين أمامه ، وقال بهدوء حتى يتذوق النكهة الكاملة  
لهذه الخلطة الغريبة •

- ها هنا .. يا رجل .. هذه المرأة .. انها لك  
ان أردت ، ولم يعرفها أحد فيما عدا ابن عمي !  
فأخذها الرجل بامتنان ، حيث انها كانت بنتا  
فارعة ، طيبة الطباع ، وكان هو معدما ، لا يقدر على  
الزواج من أية امرأة سوى واحدة مثلها .

ونزل وانج لانج من فوق الكرسي الكبير ..  
وبدا له وكان هدفه في الحياة قد انتهى ، فلقد فعل  
كل ما قال انه سيفعله ، بل أكثر مما كان يحلم ،  
ولم يعرف هو نفسه كيف تم كل ذلك .. وبدأ له أن  
السلام يمكن أن يأتي اليه حاليا ، وينام في الشمس .  
فهذا هو الوقت المناسب لذلك . أصبح عمره  
خمسة وستين عاما ، وأحفاده جميعهم حوله .

وجاءه ابنه الأصغر ، وكأنه انتهاز فرصة عدم  
وجود مضايقات .. كان ولدا هادئا ومشغولا دائما  
بكتبه ، حتى لم يعرفه أحد المتفاتا ، الا على انه ولد  
شاحب ، نحيل ، وكتبه تحت ذراعه دائما ، ومدرسه  
العجوز يتبعه من ورائه كالكلب .. لكن الولد عاش

بين الجنود أثناء وجودهم هناك ، وسمعهم يتكلمون  
عن القتال ، والسلب والمعارك ، وأنصت الى كل ذلك  
فى شغف ، ولكنه لم يقل شيئاً . وعندئذ طلب من  
مدرسه العجوز ان يمد به بكتب عن قصص حروب  
الممالك الثلاث فى الصين فى قديم الزمان ، وعن  
الصوص الذين عاشوا فى الأزمان الغابرة حول  
بحيرة سوى ، وامتلا رأسه بالأحلام .

**وهكذا ذهب الى ابيه وقال :**

- انى أعرف ما سأفعل ، سأكون جندياً ،  
وسأذهب الى الحروب !

وعندما سمع وانج لانج ذلك شعر بأن هذا هو  
أسوأ شئ يمكن أن يحدث له ، فصرخ فى صوت  
عظيم :

- ما هذا الجنون ؟ الا يمكن أن أعيش فى سلام  
مع أبنائى ؟

وتجادل مع الولد ، وحاول أن يكون لطيفاً

وعطوفا ، فعندما رأى حاجبيه السوداوين يلتحمان  
ويصبحا خطا واحدا ، قال :

- يا بني ، لقد قيل قديما : لا يأخذ الرجال  
الحديد الجيد ليصنعوا به مسمارا ، ولا الرجل الجيد  
ليصنعوا منه جنديا ، وانت ابنى الصغير ، ابنى الأصغر  
المفضل ، كيف أنام الليل وأنت تدور فى الأرض ،  
تذهب هنا وهناك مع الحروب ؟

لكن الولد كان مصحما ، فنظر الى والده  
وأرخى حاجبيه السوداوين وقال فقط :  
- سأذهب !

- يمكنك أن تذهب الى أى مدرسة تحب ، اذا  
تركت فكرة أن تكون جنديا ، انه من العار على رجل  
مثل يمتلك الفضة والأرض ، ويكون ابنه جنديا !  
ولكن ظل الولد صامتا ..

- أخبرنى لماذا تريد أن تكون جنديا ؟!

فقال الولد فجأة ، وعيناه تبرقان :

- ستأتى حرب لم نسمع بمثلها .. ستأتى  
ثورة وقتال وحرب لم توجد مثلها ، وستتحرر  
أرضنا !

**انصت وانج لانج الى ذلك فى دهشة فائقة وقال:**

- لا أعرف ، ماكل هذا الكلام الفارغ ، ان  
أرضنا حرة من قبل ، كل أرضنا الطيبة حرة ! لقد  
أجرتها لمن أحب .. وهى تجلب لى الفضة والفلال  
الطيبة . ولقد كسيت أنت وأطعمت منها ، ولا أعرف  
الحرية التى تريدها أكثر مما لديك .

**لكن الصبى قال فى مرادة :**

- انك لا تفهم .. فأنت عجوز على ذلك ..  
أنت لا تفهم شيئا !

اندهش وانج لانج وهو ينظر الى ابنه ، لقد رأى  
المعاناة فى وجه الشاب وفكر فى داخله :

- لقد أعطيت هذا الابن كل شيء .. لقد سمحت له أن يترك الأرض ، حتى لم يعد عندي من يرعاها من بعدى ، لقد تركته يقرأ ويكتب ، رغم أنه لا داعى لذلك ، لوجود اثنين فى أسرتى يفعلان ذلك من قبل ، لقد حصل على كل شيء منى .

ونظر الى ابنه عن كثب ، فرآه رجلا فارعا ، رغم نحافته وصغر سنه ، فقال لنفسه بريية :

- حسن ، ربما كان يحتاج الى ما هو أزيد مما أعطيته ..

**ولذلك قال بصوت مرتفع ، وببطء :**

- حسن ، سنزوجه فى أقرب وقت يابنى !

فأومض الصبى بنظرة من نار نحو أبيه من تحت حاجبيه الثقيلين وقال باحتقار :

- عندئذ سأفر فورا ، فالمرأة بالنسبة لى ليست حلا لكل شيء ، كما هى عند أخى الأكبر !

فراى وانج لانج فى الحال أنه كان مخطئا ،  
لذلك قال بسرعة معتبرا :

— كلا .. كلا .. فلن نزوجك .. لكن ، أقصد ،  
إذا كانت هناك عبدة ترغبها ..

**فاجاب الصبى بنظرات كلها كبرياء وكرامة :**

— اننى لست بشاب عادى ، فلدى أحلامى ،  
وأتطلع الى المجد ، والنساء موجودة فى كل مكان .

ثم استدار ومضى ..

جلس وانج لانج فى حجرته بجانب المنضدة  
بمفرده ، وهو يشعر بالحزن والوحدة ، وهمس لنفسه:

— لم يعد لدى مكان فى هذا المنزل ..

ولما جاء صباح اليوم التالى .. كان ابن وانج  
لانج الأصغر قد ذهب .. الى أين ؟ ..

لا أحد يعرف !





## الفصل الثالث عشر

---

وهكذا زحف العمر على وانج لانج يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة .. ونام في الشمس ، كما كان يفعل أبوه ، وقال لنفسه ، أن حياته قد انتهت ، وأنه كان راضيا بها . وأحيانا كان يذهب الى الجناح الآخر .. ولكن نادرا .. فلوتس أصبحت عجوزا أيضا ، قانعة بالطعام ، والنبيد الذي تحبه وبالفضة التي لم تطلبها أبدا . وعندما ذهب الى أجنحة أولاده عاملوه بأدب ، وركضوا لياتوا له بالشاي ، وطلب أن يرى آخر مولود ، وسأل مرار عديدة ، لأنه كان ينسى بسرعة :

- كم حفيد لدى الآن ؟

**فكانوا يجيبونه على الفور :**

- أحد عشر ولدا ، وثمانى بنات !

- اذن ، اضيف اثنين لكل عام ، وسأعرف العدد ،  
اليس كذلك ؟

ثم يجلس فترة قصيرة ، وينظر الى الاطفال الذين  
يتجمعون لينظروا اليه . لقد أصبح احفاده صبية  
طوالا الآن ، فكان ينظر اليهم ليرى من يشبهون ..  
**ويقول لنفسه :**

- هذا يشبه جده الأكبر .. وهذا هو التاجر  
ليو الصغير .. وهذا هو أنا عندما كنت صغيرا .

**ويسألهم :**

- هل تذهبون الى المدرسة ؟

**فيجيبون سويا :**

- أجل ، يا جدى !

• هل تدرسون الكتب الأربعة (\*) •

فيضحكون باحتقار واضح ويقول بعضهم :

— كلا ، أيها الجد • فلا أحد يدرس الكتب  
الأربعة منذ الثورة !

— آه ! لقد سمعت عن الثورة •• لكنى كنت  
مشغولاً طوال حياتى ، فلم أحضرها •• فالارض  
موجودة دائماً ••

وضحك الأولاد على ذلك ونهض وانج لانج شاعرا  
برغم كل شيء انه مجرد ضيف فى بيت أبنائه •

• وقال ذات مرة لكوكو :

— هل سمع أحد أخبارا عن ابنى الأصغر ، أو  
عرف اين ذهب طوال هذه الفترة ؟

---

(\*) كتب قديمة كتبها كونفوشيوس ، وكانت تدرس فى جميع  
المدارس بالصين •

فاجابت كوكو ( حيث لا يوجد شيء لا تعرفه في  
هذا القصر ) :

- حسن ، لم يكتب ولا رسالة ، ولكن يأتي من  
حين آخر من يقول انه أصبح مسئولاً بالجيش ، وله  
أهمية في شيء يدعونه الثورة هناك ، ولكن ما هي ؟  
لست أدري .. ربما كانت نوعاً من الأعمال .

كان يود أن يفكر في هذه الثورة ، ولكن المساء  
كان يهبط ، وعظامه تتوجع من الهواء الذي يزداد  
برودة عندما تغرب الشمس . ويذهب عقله حالياً  
حيثما يشاء ، ولا يقدر على أن يحتفظ به في موضوع  
واحد ، وكانت حاجة جسده العجوز للطعام وللشاي  
الساخن أقوى من أي شيء .

ودارت دورة الزمن ، وجاء الربيع سنة وراء سنة  
.. كان شعوره بقدومه يخفت مع مرور السنين ..  
ولكن شيئاً واحداً ظل معلقاً في ذاكرته .. حسب  
رضه ! ..

لقد بعد عنها ، بعد ما بنى منزله فى البلدة  
وأصبح غنيا .. ولكن جذوره كانت فى أرضه ،  
وبالرغم من أنه نسيها لعدة شهور ، إلا أنه كان يذهب  
إليها كل عام عندما يأتى الربيع ..

أنه لا يستطيع حاليا أن يمسك بالمحراث أو يفعل  
أى شئ سوى مراقبة غيره يقود المحراث عبر الأرض  
ومع ذلك كان يذهب .. وكان أحيانا يأخذ خادما مع  
فراشه وينام ثانية فى المنزل الترابى ، حيث ربي  
أطفاله ، وحيث ماتت أو - لان .. وعندما يستيقظ  
مبكرا مع شروق الشمس ، يذهب ، ويلتقط بيديه  
المرتعشتين بعض الأزهار ، وقليلًا من الأوراق الصغيرة  
من إحدى الأشجار .. ويظل ممسكا بها فى يده طوال  
اليوم ..

وفى أحد الأيام ، مع أواخر الربيع ، واقترب  
الصيف ، كان يتجول هكذا ، فسار فوق حقوله قليلا  
حتى وصل الى المكان المحاط بالسور فوق التل ، حيث  
دفن مواته .. ووقف يرتعد مستندا على عصاه ..

ونظر الى المقابر ، فتذكر كل واحد من موتاه ، وكانوا  
أكثر وضوحا الآن عن أبنائه الذين يعيشون في منزله .  
وسرح ذهنه الى الوراء عددا من السنين ، ورأى كل شيء  
بوضوح . . حتى ابنه الصغيرة الثانية ، التي لم يسمع  
منها أى شيء منذ مدة أطول مما يستطيع أن يتذكر . .  
رآها بنتا صغيرة جميلة ، كما كانت في منزله .  
ثم فكر فجأة :

- سوف أكون التالى .

ودخل وراء السور ، ونظر باهتمام الى المكان الذى  
سيرقد فيه - تحت ابيه وعمه ، وفوق شينج ، وقريبا  
من أو - لان . . ونظر بصعوبة الى قطعة الارض التى  
سيرقد فيها ، فرأى نفسه فيها . . عائدا الى أرضه . .  
والى الأبد !

وفكر فى نفسه :

- يجب أن أرى التابوت !

واحتفظ بهذه الفكرة فى ذهنه الى أن عاد للبلدة ،  
وارسل الى ابنه الأكبر ، وقال :



وانج لانج بين مقابر موتاه ..

— هناك شيء أريد قوله •

— اذن ، قله ، فانا هنا !

ولكن عندما أراد وانج لانج أن يتكلم ، لم يستطع فجأة ، أن يتذكر ما هو الذي أراد أن يقوله •• وطفرت الدموع من عينيه ، لأنه احتفظ بالموضوع بكل الم في ذهنه •• والآن انزلق وفر منه • ثم هب الموضوع فجأة الى ذهنه ثانية ، فصرخ ضاحكا من خلال عينيه المبتلتين :

— يا بنى •• لقد اخترت مكانا فى الارض •• ان أسفل ابى وأخيه ، وفوق امك ، وبجوار شينج ، واحب ان ارى تابوتى قبل موتى •

عند ذلك صرخ ابنه الأكبر بادب وبشكل مهذب :

— لا تقل هذه الكلمة يا ابى ! ولكنى ، سأفعل كما تقول به •

واشترى ابنه تابوتا فخما ، مقطوعا من كتلة كبيرة من خشب ، حلو الرائحة •• بدوم كما يدوم



الحديد ، ويدوم أطول من العظام البشرية . وطلب  
وانج لانج التابوت فى حجرته .. وأخذ ينظر اليه كل  
يوم .. وأصبح مرتاحا ..

**ثم فكر فجأة فى شيء آخر وقال :**

- آه لو نقلتموه الى المنزل القديم المصنوع من  
التراب ، فهناك ساعيش أيامى الباقية .. وهنالك  
ساموت ؟

وعندما رأوا كيف صمم على ذلك ، قاموا بما رغب  
وأرسلوا بكل الخدم الذين يحتاجهم .. وهكذا عاش  
ثانية على أرضه ، وترك المنزل الذى فى البلدة للأسرة  
التي قد كونها .

ومضى الربيع .. وكذلك الصيف ، الى وقت  
المحصول .. وفى شمس الخريف الساخنة ، قبل  
مجيء الشتاء ، جلس وانج لانج ، حيث كان يجلس مع  
ابيه مستندا على الجدار ، ولا يفكر فى أى شيء سوى  
طعامه ، وشرابه ، وأرضه .. ولم يعد يفكر فيما سيأتى

به محصول أرضه أو بأى البذور مستبذر أو فى  
أى شئ آخر سوى الأرض نفسها .. وينكفى أحيانا  
ويجمع بعضا من التراب فى يده ، ويجلس ممسكا به  
فيبدو نابضا بالحياة بين أصابعه .. ويفكر فى هذا  
التراب وفى تابوته الطيب .. لقد انتظرت الأرض  
الرؤوم دون تعجل ، حتى يأتى إليها ! ..

وكان ابناؤه بارين به تماما .. يحضرون كل  
يوم ليوه ، أو على الأقل كل يومين ويرسلون إليه  
طعاما شهيا ، ليدخلوا عليه السرور فى سنه الكبير  
ولكن أفضل ما كان يحبه ، هو طحين الذرة مع الماء  
الساخن ، ويأكله كما كان يفعل أبوه من قبل .

وأحيانا كان يشتكى قليلا لأن ابنائه لا يحضرون  
كل يوم لرؤيته ويقول لخادمه :

- ترى .. ماذا يشغلهم !؟

وإذا قال الخادم :

- انهم مشغولون فى الحياة ؛ فلديهم الكثير من

الأمور ، فأينك الأكبر قد نصبوه مسئولا عن البلدة ،  
مع غيره من الأعيان ، وابنك الثانى يقصوم بتأسيس  
سوق للغلال كبير لنفسه .

عندئذ كان ينهت بامعان ولكنه لا يستطيع أن  
يفهم كل ذلك . . وينسأه حالما ينظر الى أرضه .

وفى أحد الأيام شاهد ولديه وهما يتجهان صوب  
الأرض ، فتبعهما فى صمت .

**وسمع وانج لانج ابنه الثانى يقول فى صوته  
الرقيق :**

— سنبيع هذا الحقل وذاك الحقل ، وسنقسم  
النقود بيننا بالتساوى ، وسأقترض منك نصيبك  
بفائدة طيبة ، اذ يمكننى حاليا ، بعد وجود السكة  
الحديد أن أرسل الأرز الى ساحل البحر ، وأنا . .

وسمع الرجل العجوز كلمات « بيع الارض » فقط  
وصرخ غاضبا ، ولم يستطع أن يحفظ صوته من  
الانكسار والارتعاش :

– آه يا أولاد يا فاسدين .. يا كسالى ! ..  
تبيعون الارض !؟

وأوشك على الوقوع ، ولكنهما أمسكا به ،  
واسنداه .. وبدأ يبكى ..

**فقال الولدان برقة :**

– كلا .. كلا .. اننا لن نبيع الأرض مطلقا !

**فقال لهما بانكسار :**

– انها نهاية الأسرة .. عندما يبدأ الاولاد فى  
بيع الأرض .. فمن الارض جئنا .. واليها حتما  
سنذهب .. فاذا احتفظتم بأرضكم أمكنكم أن تعيشوا  
ولا يستطيع أحد أن يسلبها منكم .. !

وترك الرجل العجوز دموعه لتجف على وجهه ،  
فتركت أثرا عليه ، وانكفا أخذا حفنة من التربة  
وامسك بها وهمس

– اذا بعتم الأرض ، فستكون النهاية !

فأمسك به ولداه ، واهدا من كل ناحية ، وكل  
ممسك بذراعه .. وكان هو يقبض على التراب الناعم  
الدافئ باحكام فى يده .

**وقال الولدان ليدخلا الى قلبه شيئا من  
الطمانينة :**

— لا تُقلق يا أبى ، يمكنك أن تتأكد من ذلك ..  
الارض لن تباع !

ولكن من فوق رأس الرجل العجوز ، نظرا  
لبعضهما وابتسما .. !!



# الفهرس

## الصفحة

٥	• • • • •	المؤلفة
٩	• • • • •	مقدمة
١٣	• • • • •	الفصل الأول
٤٧	• • • • •	الفصل الثاني
٦٩	• • • • •	الفصل الثالث
٩٣	• • • • •	الفصل الرابع
١١٧	• • • • •	الفصل الخامس
١٤٥	• • • • •	الفصل السادس
١٧٧	• • • • •	الفصل السابع
٢٠١	• • • • •	الفصل الثامن
٢٢٩	• • • • •	الفصل التاسع
٢٤٩	• • • • •	الفصل العاشر
٢٦٧	• • • • •	الفصل الحادى عشر
٢٨٧	• • • • •	الفصل الثانى عشر
٣١١	• • • • •	الفصل الثالث عشر





٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣٢٥٣ / ١٩٩٦

---

ISBN . 977 - 01 - 5023 - 1